المقتطف

الجزء الحادي عشر من المجلد الثلاثين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٤ رمضان سنة ١٣٢٣

شيوع مذهب النشوء

مقتطفة من خطبة الرئاسة التي القاها الاستاذ جورج دارون في مجمع ترقية العلوم البريطاني بجنوبي افريقية

لا نعلم ما اذا كان القرن الماضي يُعَدُّ في المستقبل قرن العجائب والغرائب باكتشافاته واختراعاته او انهُ مقدمة لقرون اخرى اعجب منهُ واغرب . والحق يقال ان العلوم والمعارف تتقدم الآن تقدُّماً مدهشاً فلا تكاد سنة تمرُّ الَّا ونرى عجيبة جديدة من عجائب الاكتشاف او الاختراع . وسواء كان تغير الحوادث والاحوال التي تقع تحت حواسنا سريعاً او بطيئاً فانهُ حلقة من سلسلة طويلة من تغيرات طرفاها الازل والابد . ولا شيء ترتاح اليهِ النفس مثل درس العلل والمعلولات او الاسباب والنتائج في سلسلة الحوادث التي تكوَّن منها تاريخ الارض وما عليها من الاحياء وبسط الآراء عما تأول اليهِ الحيوانات والسيارات والشموس والكواكب . وعليهِ فسأبسط في خطبتي هذه بعض هذه الآراء المتعلقة بمذهب النشوء والارتقاء عموماً فاقول

بين من يعتقد بمذهب النشوء والمؤرخ فرق بيّن . فان الاول يستنتج تاريخ الماضي من ادلة الحاضر واما الثاني فيمتاز عنهُ بان تاريخ الماضي مدوَّنٌ امامهُ فيبني عليهِ ويستند اليهِ . ولا ينكر ان تمييز الحقّ من الباطل في التواريخ المتناقضة يقتضي نظراً دقيقاً ونقداً صحيحاً فاذا اجتمع ذلك في المؤرخ لم يبقَ امامهُ سوى ان يحوّل هيكل الوقائع والحوادث التي امامهُ الى جسم حي بإلباسهِ لحم البواعث والمقاصد البشرية . فيلزم ان يكون المؤرخ ممن خبر الناس ودرس اخلاقهم واطَّلع على احوالهم

اما الاول فلهُ وظيفتان ادناهما وظيفة قاضي التحقيق الذي يجمع وقائع الجناية في

تخيلته مما يراهُ ويستنتجهُ . واعلاهن وظيفة رجل تحرّر من ربقة المصطلحات والمسلّمات البشرية وتصوّر امورًا جديدة لم تخطر على بال انسان قبلهُ . ولا بدَّ لهُ في كلِّ حال من ان يفرض علة للأمور التي امامهُ . والفرق بين صاحب النظر الصائب وبين المتسرّع الذي يفرض لكل معلول علة سواء اصابت او لم تصب انما هو في دقة النظر وبعدهِ وهذا ما يصير بهِ الاول قليلاً نادرًا والثاني كثيرًا شائعًا

والمحكُّ الذي تعرف بهِ صحَّة المذهب العلميّ عدد الحقائق التي يجمعها وتنطبق عليهِ . وشرطهُ ان يرشد الى حقائق جديدة لم تكن معروفة قبلاً والى علاقتها بعضها ببعض . فالمذهب الوجيه اشبه بدائرة معارف يمكن توسيعها باضافة مجلدات كثيرة اليها الى ما لا حدَّ لهُ . ولا يكاد يوجد بين المذاهب ما هو صحيح برمتهِ وكثير منها ليس فاسدًا كلهُ . وقد يكون المذهب فاسدًا في جوهرهِ متصدعًا من اساسهِ ولكنهُ يدل على طريق الصواب فلا يجدر بنا من ثمَّ ان ننبذ احد مذهبين متضادين بدعوى تضادهما اذ لا يبعد ان يتضمن كلٌّ منهما حقائق جديرة بالمعرفة . والمذاهب التي سأبسطها الآن قد تلوح متناقضة في ما لدينا من نور المعرفة فلا نحجم البتة عن تتبعها الى نتائجها المنطقية معتمدين على ما يجدُّ من الاكتشاف في المستقبل لنبذ الباطل والتوفيق بين الحقائق التي تتألف منها

على ان الذين ليس لهم قدم راسخة في العلم يخلطون بين مذهب النشوء بنوع عام ونشوء انواع الحيوانات المختلفة بعضها من بعض ويحدثونك عنهما كما لو كانا اسمين لمسمى واحد . ثم يخلطون بين نشوء انواع الحيوانات وبين الانتخاب الطبيعي ويعدونهما واحدًا . ولكن الراسخين في تاريخ التصورات العلمية يعلمون ان مذهب نشوء الطبيعة بما فيها من حي وجماد مذهب قديم جدًّا

ومَثَل الحقائق التي بنيت مذاهب النشوء المختلفة عليها مثل عرمة من الخرز والجزع يختار الناقد البصير منها بعضًا لشبه يراهُ بينها وينظمهُ في سلك واحد فيخرج منها عقد منتظم . وكانت مذاهب النشوء المختلفة الى عهد قريب متقطعة غير كاملة وحلقاتها قصيرة غير متماسكة حتى ظهر مذهب الانتخاب الطبيعي وابان السبب في اختلاف انواع الاحياء المتعددة عن الاصل الذي اشتقت منهُ فكان للعالم الطبيعي من ذلك واسطة لنقد الحقائق التي امامهُ وتمييز صحيحها من فاسدها بعض التمييز ورأى النظام سائدًا حيث ظن اولاً ان الفوضى ضاربة اطنابها . ولكن تنظيم تلك العرمة كلها وترتيب آحادها بحيث لا يبقى اثر للفوضى بينها قد يقصر دونهُ علم الباحث وهمتهُ

وليس غرضي الآن ان ابحث في مقدار التغيير الذي طرأ على مذهب الانتخاب الطبيعي منذ وضعهُ ابي وولس ولو ان مبدأهُ العمومي من المبادىء الراسخة . بل ان ابين اوجه المشابهة بين عالم الاحياء وعالم الجماد من حيث مذهب النشوء والارتقاء . ومما يحسن بي ذكرهُ ان البارون كارل دي بريل سبقني الى الكلام في هذا الموضوع منذ سنة ١٨٧٣ فوضع كتاباً موضوعهُ " تنازع البقاء في الافلاك "

من المعلوم ان مادة الجماد تتحرك بقوات ابسط جدًّا من القوات التي تخضع لها مادة الحي ولكن القضايا التي تعرض للعالم الطبيعي والعالم الفلكي لحلّها ليست اسهل مراساً من القضايا التي تعرض للعالم البيولوجي فان سرَّ الحياة لا يزال بعيداً عن الحلّ كما كان منذ القدم والبيولوجي لا يحاول تفسير ماهية الحياة نفسها بل يبحث في علاقة الحيوانات بعضها ببعض وبالوسط المحيط بها . اما العالم الطبيعي فمضطرٌّ ان يرثي الآراء في ما بين اجزاء المادة من القرابة ويسعى في ضمّ تاريخ السيارات والكواكب والسدام الماضي الى تاريخها المستقبل وهو والعالم الفلكي ليسا الاَّ مبتدئين ومع ذلك فقد اهتديا الى امور كثيرة سأذكر بعضها الآن

اهمُّ ما في مذهب الانتخاب الطبيعي بقاء انواع الحيوانات التي تصلح للاقامة في الوسط المحيط بها وفناء الانواع التي لا تصلح لذلك . والتنازع على البقاء بين الحيوانات التي يختلف بعضها عن بعض من هذا القبيل هو السبب في تحوُّل الانواع تحوُّلاً بطيئًا . وهذا ما يجري في عالم الجماد ايضاً وان كنا لا نعبّر عنهُ بعبارة واحدة . وايضاحاً لذلك أُورد مثالاً من النظامات السياسية لسهولة مأخذها بالنسبة الى القضايا الطبيعية فاقول

يعبَّر عن علاقة الناس بعضهم ببعض ومعاملتهم بعضهم لبعض في مجتمع واحد بكلمات مصطلح عليها مثل المملكة والحكومة وما شاكلها . والحكومات تختلف اختلافاً عظيماً في نظاماتها وتراكيبها ونوع احكامها فمنها الحكم المطلق ومنها المقيَّد ومنها الجمهوري وكلها تدل على التداخل في افعال الناس ومعاملاتهم . وعليهِ يمكن تحديد الحكومة بانها اسلوب منظم للعاملات ولتأثير افعال الناس بعضهم ببعض . والتاريخ السياسي يبحث في التغير البطيء الذي طرأ على الحكومات واكتشاف ما وجد منها اصلح من غيرهِ للبقاء

وترى البيولوجي يسمّي الحيوانات التي تحافظ على كيانها بالانواع . والعالم الطبيعي يحدثك عن الاشكال الثابتة وانواع الحركة والسياسي عن الحكومات . والمبدأ الذي هو قاعدة هذه التصورات كلها الثبات او القدرة على مقاومة الانحلال . وبعبارة أُخرى ان ثبات او بقاء نوع من انواع الحي او شكل من اشكال الجماد او حكومة من الحكومات يتوقف على درجة

صلاحيتها للبقاء وقدرتها على تكييف نفسها ضيقٌ للتغير الذي يطرأ على الوسط المحيط بها

والذي يراجع تاريخ بلاد من البلدان يرى درجة ثباتها متغيرة تغيراً بطيئاً على الدوام فتعلو تدريجاً حتى تبلغ اعلاها ثم تهبط تدريجاً حتى الحضيض فيعقب هبوطها ثورة و يعقب الثورة حكومة ذات نظام جديد . وهذه الحكومة الجديدة او الحركة الجديدة تكون متقلقلة قليلة الثبات في بادىء الامر ولكنها تاخذ تقوى وتشتد في دورها وتزيد ثباتاً حتى تبلغ اشدها ثم تضعف رويداً وتهبط تدريجاً ويجري بها ما جرى بنظام الحكومة الاولى

وهذه الازمات في التاريخ السياسي قد تفضي الى حالة لا تستطيع حكومة البقاء عندها بالتغير من صورة الى اخرى . وهذا يحدث اذا أُنشئت قبيلة متوحشة قبيلة اخرى واتخذت من بقي منها ارقاء واجلتهم عن بلادهم فان شكل الحكومة الاولى ينقرض وينشئ بناء القبيلة

والعالم الطبيعي يرقب نتيجة تغير الاحوال الخارجية مثل البيولوجي والمؤرخ فيرى قوة الثبات تنحط تدريجاً حتى تزول ثم يعقب زوالها ما يسمى في التاريخ السياسي بالثورة

فهذه الاعتبارات تحملني على الريب في ما اذا كان البيولوجيون مصيبين في ظنهم ان الانواع متصلة التحوُّل من حال الى حال . واذا اتخذنا التمثيل قياساً لنا وجب ان ننتظر حدوث تغيُّرٍ بطيء متصل في زمن مديد يعقبهُ تغيُّرٌ فجائيٌّ الى نوع جديد او انقراض سريع . ومهما يكن من ذلك فانهُ اذا ضعف ثبات شكل من اشكال الحركة في عالم الجماد فاما ان يتحول الى شكل جديد اثبت منهُ واكثر ملاءمة للاحوال المتغيرة او ينقرض . ثم ان معظم الاحياء التي انقرضت لاتزال محفوظة متحجرة في الطبقات الجيولوجية . وانواع الحكومات المنقرضة مدونة في بطون التواريخ فيتخذ البيولوجي تلك الطبقات اساساً لابحاثه والسياسي تلك التواريخ مشكاة يهتدي بها واما العالم الطبيعي فيقدم على البحث ولا اساس يعتمد عليهِ ولا مشكاة يستضيء بها

والوقت الذي يقتضي لتحول انواع الحيوان يقاس بالادهار والعصور لا بالسنين والشهور ومثل هذا يقال في التغيرات التي تطرأ على الكواكب والاجرام السموية . واما الوقت الذي يقتضي لتحول شكل من اشكال الجواهر والدقائق التي تتألف المادة منها الى شكل آخر فقد يكون جزءاً من مليون جزء من الثانية فلا يدركهُ الوهم لقصره . ومع ذلك التفاوت العظيم في الوقت فان العمل واحد في جوهره

هذا ولا يستبعد انهُ اذا عرفت الاحوال التي تصير فيها الحركة ثابتة منتظمة بالدقة والضبط عرفنا ايضاً تاريخ تكوين العالمين في الماضي ومصيرهما في المستقبل ولكننا بعيدون

الآن مراحل كثيرة عن ذلك كما يتضح مما يأتي

هذا وان من اقدم المذاهب ان المواد كلها على تعدُّد انواعها من اصل واحد وعليه حاول اصحاب الكيمياء في العصور الوسطى تحويل المعادن الدنيا ذهباً وكانوا يظنون ان العقبة الوحيدة في هذا السبيل اكتشاف الطرق الكيماوية الملائمة التي توصل الى تلك النتيجة . ونحن وان كنا نعلم الآن انهم كانوا بعيدين عن غرضهم بعد الارض عن السماء ولكننا لا نكر عليهم انهم مهَّدوا السبيل للكيمياء الحديثة . وقد كان غرضهم حلّ جواهر عنصر من العناصر الى الاجزاء الّتي يتركب منها ثم تركيبها ثانية لتخرج جواهر ذهب . ولم يهتدِ كيماويو هذه الايام بعد الى الخطوة الاولى في هذا السبيل وهي حلّ العناصر ولكن مباحثهم ازاحت الستار عن تركيب الجواهر بحيث صرنا نعلم ماذا ينبغي ان نفعل لتحويل العناصر وما التغيرات المختلفة التي تحدث من نفسها في الاورانيوم والراديوم وما شابههما سوى مظاهر من مظاهر حلّ العناصر وتحوُّلها من نفسها على الراجح

وقد يلوح لاول وهلة ان الانتخاب الطبيعي لا علاقة لهُ البتة بمذهب الكيماويين هذا ولكن حلّ العناصر وتحولها يتوقفان على عدم ثبات الجواهر اولاً ثم استرداد ثباتها ثانية . وبقاء الجواهر الثابتة يتوقف على مبدإ الانتخاب الطبيعي . وكان الكيماويون يعتقدون منذ عشر سنوات ان العناصر الكيماوية متعددة ضرورة حتى لقبوا بالجوهر الفرد الجزء الذي زعموا انهُ لا يتجزأ من المادة فكنت تراهم لا يتحدثون الاَّ عن الجوهر الفرد وكانت الكيمياء الحديثة كأنها بناية من الجواهر الفردة . ولكن لنارد ورنتجن وبكريل وكوري ولارمُر وطمسن وكثيرين غيرهم اثبتوا بمباحثهم ان الجوهر الفرد متجزّئ فكشف الستار بذلك عن تركيب المادة الحقيقي . اثبتوا ان الجوهر الفرد مؤلف من اجزاء عديدة وان جوهر الهيدروجين ابسط الجواهر مؤلف من نحو ٨٠٠ جزء وان الجوهر من العناصر التي هي اكثف منهُ مؤلف من عشرات الالوف من الاجزاء . وقد سمي الجزء منها كريّة او الكترونًا ويمكن وصفهُ بقولنا انهُ ذرة من الكهربائية السلبية . ومن الغريب ان العالم الطبيعي يعلم عن هذه الالكترونات ما لا يعلمهُ عن الجواهر الفردة وعدُّها اسهل من عدّ الجواهر الفردة

ولما كانت هذه الالكترونات مكهربة كلها سلباً فانها تدفع بعضها بعضاً كما تتدافع شعرات الراس اذا مشطت بمشط اسود . ولا يعلم بعدُ لماذا لا يحلّ الجوهر والالكترونات التي يتألف منها متدافعة بسبب كهربائيتها السلبية فلابدَّ من وجود كهربائية ايجابية او ما يفعل فعلها في الجوهر لمنع انحلاله . اما كون الجوهر مؤلفًا من الكترونات سلبية فأمر مؤكد وهذه

الالكترونات تتحرك بسرعة تفوق سرعة النور فان سرعتها ٢٠٠ الف ميل في الثانية

ومنذ سنة صنع طمسن آلة كهربائية تمثل الالكترونات في الجوهر وفحص خصائصها فحصاً دقيقاً بالطرق الرياضية . وهي مؤلفة من كرة مكهربة بالكهربائية الايجابية تمثل الجوهر الفرد وضمنها الف او الوف من الذرات مكهربة بالكهربائية السلبية وهي تدور في دوائر منتظمة بسرعة عظيمة وهذه الذرات تمثل الالكترونات . ولما كانت كهربائيتها من نوع واحد فانها تتدافع ولكن الكرة تجذبها كلها لان كهربائيتها من نوع آخر

وقد ظهر من هذه التجربة ان تحرك الالكترونات في دوائر ذات نظام محدود لازم لثبات حركتها . ولكن عدد الالكترونات في الجوهر ليس محدوداً فقد يمكن زيادة عدد قليل منها بغير ان يتشوش نظامها في الجوهر وبالتالي نظام الجواهر الاخرى المرتبطة به كما انهُ يمكن زيادة سيار صغير او عدة سيارات صغيرة على النظام الشمسي ولا ينشأ عن ذلك خلل في موازنته ولا اضطراب في حركته ولكن لا يمكن زيادة عدد كبير منها لان ذلك يفضي الى وقوع خلل في مجموعها كما لو زيد على النظام الشمسي مئة سيار يساوي مجموعها حجم المشتري فان ذلك يحدث اضطراباً فيهِ لا تحمد عواقبهُ . وهكذا يمكن ان تضاف الكترونات قليلة الى الجوهر او تطرح منهُ من غير ان يقع خلل في نظامهِ ومن غير ان يفضي الى تحوُّل العناصر

ويمكن اجتماع الالكترونات بعضها مع بعض على صور شتَّى فتكون ثابتة جدًّا او قليلة الثبوت او بين بين فيدور الالكترون في مجتمع منها الوفًا من الدورات قبلما يبدو عليهِ عدم الثبوت . وجوهر مثل هذا يبقى ملايين من الدقائق ولكن لا بدَّ من تمزقهِ اخيرًا وتفرُّق الكتروناته او عودها الى الانتظام بعد ما يفقد بعضها . ولذلك يظن ان العناصر الكيماوية البسيطة هي الاجسام التي اجتمعت الكترونات جواهرها وانتظمت بعضها مع بعض وثبتت امام ما انتابها من النوائب في جهادها لاجل البقاء . وان كان الامر كذلك فيكاد يستحيل ان تكون الانواع التي نجحت في هذا الجهاد ازلية ولا بدَّ من انها تكوَّنت في احوال مخصوصة

ولكن ان لم تكن العناصر ازلية فهل من دليل على انها ابدية . ان انحلال العناصر وتلاشيها او تحوُّلها من نوع الى آخر امور بقي الكيماويون يحكمون باستحالتها الى عهد قريب ولكن قياس التمثيل يدلُّ على ان العناصر ليست ابدية

ومهما يكن من ذلك فتتبُّع ما يطرأ على الجوهر الذي صنعهُ طمسن مثالاً للجوهر الفرد لا يخلو من الفائدة فان النواميس المتسلطة على الكهربائية تدلُّ على ان الجوهر يشعُّ من قوته او يفقد بعضها رويدًا رويدًا ولا بدَّ من ان يأتي وقت تنفد قوتهُ فيهِ ومتى جاء هذا الوقت

يستحيل الى جوهر يكتفي بقوة اقل من القوة الاولى التي كانت فيهِ . ويظن الاستاذ ظمن انهُ يمكن ان يُصنع جوهر بطيء الانحلال حتى يبقى مليون سنة ولكنهُ لا يمكن ان يكون ابديًّا

فهذه النتيجة تناقض تمام المناقضة كل ما كان معروفًا عن العناصر الى عهد حديث اذ لم يكن هناك علامة تدل على انحلالها . وزد على ذلك ان العناصر التي يتألف النظام الشمسي منها لابدَّ ان يكون قد مرَّ عليها ملايين من السنين وهي على تلك الحال . ومع ذلك فان هناك ما يحمل على الظن ان ما نراهُ من الانحلال والتركيب في الراديوم والعناصر الاخرى التي لها جواهر كثيرة التركيب مثلهُ انما هو من قبيل تحول العناصر

والالكترونات على غاية من الصغر وقد أبان اللورد كلفن انهُ اذا كبرت نقطة ماء حتى صارت بحجم الارض بلغ حجم كل دقيقة من دقائقها (جواهر المادة) حجم كرة كالمشمشة . وكل دقيقة مؤلفة من ثلاثة جواهر فردة اثنين من الهيدروجين وواحد من الاكسجين فهي مثل النجوم المجتمعة ثلاثة ثلاثة يدور بعضها حول بعض في دوائر لا تعرف تمامًا . ولا يعلم مقدار الحيز الذي تشغلهُ هذه الجواهر بالنسبة الى ما تشغلهُ الدقيقة كلها وجهد ما يقال انهُ ربما كانت نسبة الحيز الذي يشغلهُ الجوهر الى الحيز الذي تشغلهُ الدقيقة كنسبة الحيز الذي تشغلهُ الدقيقة الى نقطة الماء ومثل ذلك يقال في نسبة الالكترونات الى الجوهر

قلتُ ان الجواهر الثلاثة من الهيدروجين والاكسجين في دقيقة الماء تشبه المجاميع المؤلفة من ثلاثة نجوم ولكن من الدقائق ما فيهِ خمسون جوهرًا او مئة جوهر فهي مثل المجاميع الكبيرة الكثيرة النجوم

واحوال الدقائق مثل احوال الجواهر فان الدقائق الكيماوية مؤلفة من جواهر مختلفة وهي على درجات متنوعة من الثبوت . ولا تكون الجواهر منفردة واذا استفردها الكيماوي لم تلبث منفردة الاَّ دقيقة من الزمان وبعضها لا يُستفرد مطلقًا ولذلك فالتحليل والتركيب عملان مستمران في العالم كلهِ . والمركبات التي هي اثبت من غيرها تحفظ كيانها في هذا الوجود اكثر من غيرها كأنها تفوز على غيرها في تنازع البقاء وهي اكثر الموجودات وجودًا كملح الطعام ومركبات السليكون ولكن لم يجد احد منجمًا من قطن البارود لان هذا القطن قليل المقاومة سريع الانحلال فاذا تركبت دقيقة منهُ بواسطة من الوسائط الطبيعية العرضيَّة كانت حياتها قصيرة جدًّا

ثم ان ثبوت المركَّب يدل على مناسبة الاحوال لهُ ومناسبتهِ لها فالملح مؤهَّل للبقاء على الارض لان احوالها مناسبة لبقائهِ ولكنهُ لا يستطيع البقاء على سطح الشمس لانهُ لا يحتمل حرارتها

الذهب

خطب المستر بلي رئيس قسم الكيمياء في مجمع ترقية العلوم البريطاني خطبة موضوعها الذهب اكثرها علمي كيماوي لا يلذ جمهور القراء ولا يفيدهم ولكن فيها حقائق كثيرة يودّ كل احد ان يطالعها من قلم كيماوي مجرّب من ذلك : —

ان العناصر البسيطة كثيرة تبلغ ثمانين عنصراً ثلثاها نافع او عُلم نفعهُ والثلث غير نافع او لم يُعلَم نفعهُ حتى الآن واذا استثنينا العناصر اللازمة لتركيب جسم الانسان فانفع العناصر لهُ واكثرها دخلاً في شؤونهِ المختلفة الحديد والذهب

ولقد تطلّب الناس الذهب من اول عهد العمران وضحّوا في سبيلهِ كل مرتخص وغالٍ وبذلوا كل وسيلة للحصول عليهِ اما من معادنهِ او من الناس الذين وجدوهُ عندهم فاراقوا الدماء وبذلوا المهج في هذا السبيل . وعصر الذهب ليس العصر الذهبي لان هذا الاصفر البرّاق قلّما يمثل غير المطامع والمتاعب

ولما ارتقت الصناعة وتقسّمت الاعمال وبطلت المقايضة وقع الاتفاق بين الناس على جعل الذهب مقياساً وممثلاً للقوى والممتلكات فزاد ذلك في ارتقاء الصناعة والتجارة حتى بلغنا ما بلغناهُ

ولما كان الذهب يصوَّل من التراب كان العثور عليهِ من قبيل الاتفاق فقد يعثر عامل على شذرات كبيرة منهُ في بضعة ساعات وقد يقضي الايام والشهور ولا يجد منهُ شيئاً يذكر ولا ينقطع عن تطلبهِ مهما تجشم من المشاق لان الكسب الذي يأتي بالصدفة غرّار فهو كالمضاربة او كلعب القمار . ثم وجدوا ان الذهب قد يكون متخلّلاً بعض الصخور فجعلوا يسحقونها ويمزجونها بالزيبق فيمتزج الزيبق بالذهب ويصير معهُ ملغماً ثم يحمون الملغم فيطير الزيبق ويبقى الذهب . وهذه هي الدرجة الثانية وكانت تستعمل حينما كانت مناجم الذهب سطحية ثم لما عمُقت صار سحق الحجارة التي فيها الذهب صعباً جدًّا ولا يستخرج كل الذهب منها فصارت تحمى حتى يسهل سحقها . ولم تصلح طريقة استخراج الذهب اصلاحاً كبيراً الاّ منذ بضع عشرة سنة حين استعمل مذوب سيانيد البوتاسيوم لاذابتهِ فشاع استعمالهُ في كل مناجم الذهب وصارت طريقة استخراجهِ عملية قانونية واستخدم لهُ اناس من اكبر علماء الكيمياء

وقد وجد بالامتحان ان ماء البحر لا يخلو من الذهب وبيّن الاستاذ لفرسدج ان في الطن من ماء الاوقيانوس نحو قمحة من الذهب ففي الكيلومتر المكعب سبعة آلاف كيلوغرام . ولا نقطة من ماء البحر الاّ وفيها ملايين كثيرة من دقائق الذهب وعليهِ فالسفن التي تجري فيهِ

انما تجري في بحر من الذهب ودقائق الذهب تمس كل جزء من سطحها الغائص في الماء في كل لحظة من سيرها . ولكن استخراج الذهب من ماء البحر اكثر نفقة من ثمنهِ اي لا يستخرج ما يساوي ديناراً الاَّ بعد ان ينفق على استخراجهِ اكثر من دينار فكل الذين يزعمون انهم انشوا شركات لاستخراج الذهب من ماء البحر انما هم يخدعون الناس ليسلبوا اموالهم

ودقائق الذهب صغيرة جدًّا فاذا اذيبت قمحة ونصف قمحة منهُ في الطن من الماء ففي كل ملیمتر مكعب من ذلك الماء ٦٥٠٠ مليون دقيقة من دقائق الذهب واذا غرزت ابرة في هذا الماء غطى رأسها ١٥٠٠ دقيقة من دقائق الذهب واذا بسطت هذا الماء على ارض مساحتها ١٦٨ ميلاً مربعاً انبسط الذهب عليها كلها حتى لا يكون فيها مغرز ابرة خالياً منهُ

أقدم الآثار الاشورية

لا تكاد سنة تمرُّ الاَّ وترى الاثريين في هذه الناحية او تلك البقعة من بقاع الارض يستخرجون من الاطلال القديمة آثاراً جديدة تميط النقاب عن كثير مما خفي علينا من تواريخ الاقدمين ونوع عمرانهم ومبلغ علومهم ومعارفهم

من ذلك ان فيس قنصل فرنسا في البصرة المسيو ده سرزك وهو من المولعين بالآثار القديمة نقب الاطلال الواقعة في اسافل وادي الفرات ودجلة فعثر في احدى التلال التي نقّب فيها على جدران بناية كبيرة ظهر فيما بعد مما وجد فيها من الكتابات والنقوش انها قصر الملك جوديا من ملوك الكلدانيين القدماء . والقصر بناء قائم الزوايا طولهُ ١٧٠ قدماً وعرضهُ ١٠٠ قدم وفيهِ غرف ومقاصير كثيرة طول بعضها اربعون قدماً في مثلها عرضاً . ووجد في القصر وحواليهِ كثيراً من تماثيل هذا الملك منحوتة في صخر اخضر قاتم اللون وهي في القدر الطبيعي وعليها كتابات كثيرة ووجد معها اسطوانتين كبيرتين من الخزف . فنقل بعض ما وجدهُ الى باريس حيث خصهُ المسيو ليون هنري وغيرهُ من كبار علماء الآثار والعاديات ثم وضع في متحف اللوفر وكلَّ يوم يضاف اليهِ آثار جديدة

واقدم هذه الآثار قطعة فيها تمثال شخص بلا لحية ولعلهُ تمثال امرأة وعلى رأسهِ غطاء يشبه ما يوجد على رؤوس التماثيل الكلدانية عادة . وهو يشير بيدهِ الى تمثال شخص آخر اصغر منهُ وقد كسر بعضهُ . والظاهر انهُ يمثل طفلاً جالساً على ركبتي التمثال الاكبر ولعلَّ التمثالين يمثلان احدى الاهات الكلدانيين والاشوريين وطفلها كما هو مذكور في خرافاتهم

ومنها قطعة مثقوبة من الوسط لا يعلم الغرض منها وهي من عهد الملك اورنينا احد ملوك الكلدانيين وتاريخها من نحو ٤٠٠٠ سنة قبل المسيح وعليها نقوش تمثل الملك اورنينا يحفُّ به اولادهُ وكبار حشمهِ . ومعنى الكتابة التي امامهُ هكذا — " اورنينا ملك سريورلا ابن نينيهالدو بنى هيكل الالاهة نينا " ولذلك مُثِّل حاملاً السلَّة المقدسة التي هي رمز بناء الهيكل . ولعلَّ الكتابة المتقدمة اقدم تاريخ مصوَّر لحادثة حقيقية

ومن ذلك قطع من عهد الملك اياناذو حفيد الملك اورنينا كسرت من نصب طولهُ سبع او ثماني اقدام وعرضهُ ٥ اقدام . ففي واحدة منها رسم قسم من جسم الملك وفي الثانية رسم جنودهِ في ساحة القتال وقد صورت فيها الجنود في المقدمة والتروس الكبيرة في ايديهم وقد اتصل بعضها ببعض حتى صارت كالحصن امام الجيش وتسلحوا بالفؤوس والحراب

وكانت فؤوسهم وحرابهم من البرنز كما يظهر من مكتشفات اخرى اكتشفها المسيو سرزك وكانوا يمسكون الحربة من عند زجها والظاهر ان الملك كان يستعمل يسراهُ كما يستعمل يمناهُ على حدٍّ سوى لانهُ صوِّر وفي كلٍّ من يديهِ حربة الَّا اذا اريد المبالغة في بسالتهِ . ومن القطع قطعة فيها صورة الملك وقد سدَّد حربتهُ الى اعدائهِ وهم محلوقو الرؤوس وقد هربوا امامهُ والتفت رئيسهم اليهِ وبسط يديهِ مسترحماً ولكن حربة الملك اصابت جبهتهُ بين عينيهِ . ومنها قطعة فيها صورة ثور رُبط والقي على الارض كأن المراد تضحيتهُ

ومن الانصاب التي وجدت نصب يسمى نصب النسر وفيهِ صورة اياناذو في اربع حالات في الاولى صورتهُ مع المشاة من جنودهِ وقد تغلبوا على العدو . وفي الثانية صورتهُ وهو راكب مركبتهُ في طليعة فرسانهِ يقتفي اثر العدو . وفي الثالثة صورتهُ وهو يضحي الضحايا تذكاراً لنصرتهِ . وفي الرابعة صورتهُ يمثِّل بالاسرى

وهذا اقدم رسم معركة وجد حتى الآن

اقدم الآثار البابليَّة

ابنا غير مرة ان السماريين سكنوا بلاد بابل قبل البابليين وتاريخهم متوغل في القدم . وقد كشف الآن تمثال ملك من ملوكهم اسمهُ داود او داودو اكتشفهُ الوفد الذي انتدبتهُ مدرسة شيكاغو الجامعة وارسلتهُ الى خرائب بابل للبحث والتنقيب في مكان اسمهُ بسميا والمرجح ان تاريخهُ نحو ٤٥٠٠ قبل المسيح . ولما وجد كان ملقىً على ظهرهِ ورأسهُ مفقود واصابع

يديهِ مكسورة ومطروحة امامهُ . ثم وجد الرأس في مكان آخر

وعلو التمثال ٨٨ سنتمترًا وعرضهُ ٨١ سنتمترًا ورأسهُ صلع ولا شعر في وجههِ وعيناهُ مثلثتان وحاجباها فارغان الآن وقد كان فيهما مقلتان من العاج ملصقتان بالزفت . وهو عارٍ الى وسطهِ وتحت ذلك ازار يتدلَّى من خصرهِ الى كعبيهِ يغشى الفرو وعلى كتفهِ اليمنى ثلاثة اسطر باللغة السمارية القديمة اي اللغة التي تقدمت اللغة البابلية وهذه صورتها

اشار
الملك داودو
ملك ادنكي

اي ان ذلك التمثال صنع لهيكل اشار هيكل ملك ادنكي

اما اسم الملك لجديد عند علماء الآثار الاشورية واما اسم المدينة والهيكل فمذكوران على حجر حمورابي الذي اشرنا اليهِ غير مرة

والذي جعل علماء الآثار يرجحون ان عمر هذا التمثال اكثر من ستة آلاف سنة هو اولاً ان نوع الكتابة التي عليهِ من نوع الكتابة المنقوشة على الآثار التي تاريخها قبل تاريخ

الملك سرجون اقدم ملوك بابل وتاريخهُ سنة ٣٨٠٠ قبل المسيح

وثانيًا ان التمثال وجد تحت انقاض عدة هياكل بنيت وهدمت ثم رممت . ففي الانقاض العليا كتابة تذكر الملك دنجي الذي كان سنة ٢٧٥٠ قبل المسيح وتحتها انقاض عليها اسم الملك سرجون الذي كان سنة ٣٨٠٠ قبل المسيح وتحتها آثار انقاض اخرى والتمثال تحتها كلها

وثالثًا ان طراز صناعة التمثال وعينيهِ اللتين على شكل مثلثين وشكل الفهِ وزي لباسهِ كل ذلك يشبه تمثالين الواحد في متحف اللوفر والآخر في المتحف البريطاني . وعلماء الآثار الاشورية يقولون ان تاريخهما نحو ٤٥٠٠ قبل المسيح ولا يخالفهم عالم كبير في ذلك

ويقال بالاختصار ان هذا التمثال اقدم من اقدم اثر بابلي بالف وخمس مئة سنة وهو مثال كامل لاقدم صناعة في العالم

التلوتوغراف

التلوتوغراف آلة للكتابة عن بعد . وقد بلغ من اتقانها الآن ان صارت بسيطة جدًّا وصارت بحيث يستطيع كل احد ان يستعملها اذا كان عارفًا الكتابة . فاذا مسكت قلمها بيدك وكتبت بهِ تحوَّلت حركتهُ الى كهربائية وانتقلت على سلك التلغراف او التلفون الى الطرف الآخر منهُ وحركت هناك قلمًا دقيقًا من اشعة النور على ورق من ورق التصوير الشمسي الحساس فترتسم عليهِ كتابة مثل كتابتك تمامًا كما ترى في الرسم التالي فان فيهِ صورة الكتابة الاصلية التي كتبها الكاتب والكتابة التي كتبها قلم النور على الورق الحساس

والآلة قسمان قسم لارسال الكتابة وقسم لاستقبالها فالقسم الذي لارسال الكتابة فيهِ قلم عادي من اقلام الرصاص متصل بمخلبين صغيرين يحلان كل حركة من حركاتهِ الى حركتين واحدة افقية وواحدة عمودية وهاتان الحركتان تؤثران في كهربائية بطرية صغيرة متصلة بهذا القسم من الآلة وتسير الكهربائية على سلك التلغراف او التلفون الى حيث القسم الثاني من الآلة وهناك قنديل كهربائي صغير ومرآتان ينعكس نورهُ عنهما وهاتان المرآتان تتحركان بواسطة المجرى الكهربائي الآتي من المكان الاول وتأثيرهُ في مغنطيس متصل بهما فتكون النتيجة ان الحركتين اللتين انحلت اليهما حركة قلم الرصاص في يد الكاتب تصلان الى المرآتين وتحركانهما فتؤثران بقلم النور الواقع عليهما من القنديل الكهربائي فتحركانهِ حركتين تكون نتيجتهما مثل حركة قلم الرصاص . وفي هذا القسم من الآلة شريط

من الورق الحساس ملفوف على بكرة فيجري امام قلم النور رويداً رويداً وقلم النور يؤثر فيهِ فيكتب عليهِ مثل صورة الكتابة التي انتقلت بالمجرى الكهربائي

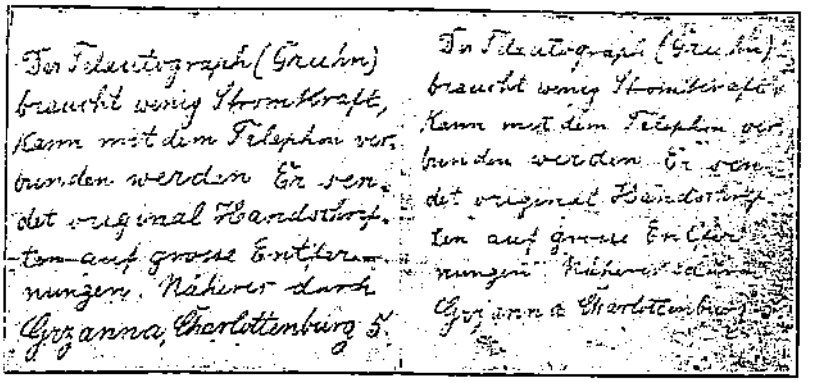

ومن مزايا هذه الآلة ان الورق الحساس هذا يمرُّ في مغنطيس يظهر تأثير النور فيهِ ويثبت اثر الكتابة عليهِ في عشر ثوانٍ من الزمان . فاذا مسكت قلم هذه الآلة بيدك وكتبت بهِ رسالة استغرقت كتابتها ربع ساعة فبعد انتهائك من الكتابة بعشر ثوانٍ فقط تكون الرسالة قد طبعت على الورق الحساس في المكان الذي ارسلت الرسالة اليهِ وصورتها مثل كتابتك تماماً كما ترى في الشكل المتقدم

ولا يخفى ان هذه الآلة يمكن وصلها بالتلفون فيستطيع الانسان ان يكاتب غيرهُ بها كما يستطيع ان يكالمهُ بالتلفون وهي تنقل خط الكاتب كما ينقل التلفون صوت المتكلم . وفي كل آلة قسمان قسم لارسال الكتابة وقسم لاستقبالها . وقد ظهر بالامتحان في المانيا ان خطوط التلفون العادية تكفي للتلوتوغراف وانهُ يمكن ارسال الكلام والكتابة على الخط الواحد في وقت واحد من غير ان يقاوم احدهما الآخر

وقد امكن نقل الكتابة بين برلين ودرسدن مسافة ١٢٤ ميلاً فاذا استعمل بين مصر والاسكندرية كانت منهُ فائدة كبيرة ولا سيما في الاشغال المالية حيث تدعو الحال ان تكون " الاذونات " بخط صاحبها وامضائهِ وحيث يخشى من وقوع الخطإ اذا اقتصر على صوت التلفون . وتوضع آلة التلوتوغراف بجانب آلة التلفون ويمكن استعمالها معاً في وقت واحد او استعمالها بالتعاقب

الهالة حول الراس

ادّعى البعض انهم رأوا هالة حول رؤوس بعض الناس فحسبوا انها من الدلائل الالهية على قداستهم او على ترفّعهم عن غيرهم من البشر. وقد تناول الاستاذ تندل هذا الموضوع وعلّل ظهور الهالة في بعض الاحوال تعليلاً علميًّا طبيعيًّا. لكنّا اطلعنا الآن على فقرات في مجلة العلوم النفسية يظهر منها ان بعض الهالات لا يعلَّل بتعليل تندل لها وان بعض علماء الامراض العصبية لا يزال يظن ان هذه الهالات اذا ظهرت فلها علاقة باحوال الاعصاب المرضية. فقد كتب الدكتور فره Féré بالامس يقول انهُ رأى حادثتين من هذا القبيل منذ اكثر من عشرين سنة تعذر عليهِ تعليلهما ثم لما عُلم ما عُلم عن اشعة الراديوم ظن ان فيهِ ما يعللها فنشرها الآن قال

الاولى امرأة عمرها ٢٨ سنة رأيتها سنة ١٨٨٣ وهي من عائلة فيها الخدار العصبي وكانت تصاب باعراض هستيرية في العشر السنوات السابقة للوقت الذي رأيتها فيهِ و بالتشنج وفقد الشهية للطعام وبالازيما البيضاء وتبقى منها علامات في جسمها. و يصيبها احيانًا صداع شديد يبتدئ في الصباح وينتهي في المساء بالقيء. وفي نوبة من هذه النوبات شعرت بصداع في صدغيها و يبرد في اطرافها. وفي الساعة الرابعة بعد الظهر اتيت لمشاهدتها فرأيت هالة من النور حول رأسها قطرها ٤٠ سنتيمترًا لونها يرتقالي يقلّ اشراقهُ في محيطها ورأيت هالتين أُخريين مثلها حول يديها وصار لون جلدها يرتقاليًّا اقتم من لون الهالة وكان اصلاً ابيض ناصعًا وقد ظهرت الهالة قبل وصولي بساعتين وابتدأ التلوّن في جلدها قبلما ظهرت الهالة يبضع ثوانٍ ثم زالت الهالات من حول رأسها و يديها واللون من جلدها بعد حضوري بساعتين في الوقت الذي ينتابها فيهِ القيء اي انها بقيت اربع ساعات

الثانية امرأة عمرها ٢٥ سنة يصيبها صداع كل شهر من حين بلوغها ولها ابنة عمرها اربع سنوات تصاب بنوبات هستيرية. واصيبت هذه المرأة بالصداع في ١٥ فبراير سنة ١٨٨٤ على جاري عادتها فبقيت في فراشها ودعيت لمشاهدتها واصيبت ابنتها بالتشنج والحول ايضًا ولما رأيتها كذلك تألمت جدًّا وللحال تغيّر لون جلدها فصار يرتقاليًّا كما صار جلد المرأة الاولى وظهرت هالة حول رأسها وهالتان حول يديها وهذه الهالات اضيق من الهالات الاولى ولكنها اشد منها اشراقًا وكانت الساعة الثالثة بعد الظهر ولكن هذه الحالة لم تدم الاَّ بضع دقائق ولم يرَ زوجها هذا النور قبلاً في كل ما اصابها من نوبات الصداع قبل ذلك الوقت

ولم يبلغني ان احداً من الاطباء شاهد ما شاهدتهُ لكن ذكر في التواريخ الدينية ان كثيرين حدث لهم ذلك فكانت رؤوسهم او اجسامهم تحاط بهالة من النور. وذكرت ما رأيتهُ لاستاذي شاركو فظهر لي انهُ كان مرتاباً في صدقهِ . ثم بلغني حدوث شيء من ذلك في الصيف الماضي وهو ان سيدة من عائلة لا مرض فيها ولا يزال ابواها حيين (عمر ابيها ٧٨ سنة وعمر امها ٧٣ سنة) مرض زوجها فقلقت لمرضهِ قلقاً شديداً وهمَّها امرهُ جداً فانحطت قواها وصارت تسمع اصواتاً مقلقة وهي نائمة فتستيقظ مذعورة واستيقظ زوجها ذات ليلة اذ سمعها تصرخ فرأى هالة من النور حول رأسها وكان امامهُ خزانة كبيرة ذات مرآة فرأى صورتهُ وصورتها في المرآة بالنور الذي كان حول رأسها وهو اشعة بعضها اطول من بعض تحيط برأسها كيفما ادارتهُ وكان وجهها اصفر وكانت اذا اشتدَّ تهيجها يشتدُّ نور الهالة ودامت نحو ربع ساعة

معاهدة الصلح

المادة الاولى . تشترط هذه المادة اعادة السلم والصداقة بين امبراطوري السلطنتين وبين رعايا روسيا واليابان

المادة الثانية . يعترف جلالة امبراطور روسيا بمصلحة اليابان الراجحة في امبراطورية كوريا سياسياً وماليًّا وعسكريًّا ويتكفل بان روسيا لا تعارض التدابير التي ترى اليابان ضرورة اتخاذها في كوريا بالاتفاق مع حكومتها لادارة احكامها وحمايتها ومراقبتها ولكن الرعايا الروسيين واصحاب المشروعات الروسية يتمتعون بنفس الحقوق التي يتمتع بها رعايا البلاد الاخرى ومشروعاتها

المادة الثالثة . اتفق الفريقان على ان تجلي الجيوش الروسية والجيوش اليابانية عن منشوريا معاً وان تبقى جميع الحقوق التي اكتسبها الاشخاص والشركات فيها من غير ان تمس

المادة الرابعة . تنقل كل الحقوق التي لروسيا بمقتضى عقد الايجار في بورت آرثر ودلني والاراضي والمياه المحاذية لها الى اليابان ولكن تصان وتحترم حقوق الرعايا الروسيين واملاكهم

المادة الخامسة . تتكفل الحكومتان الروسية واليابانية ان لا تلقيا العراقيل والعوائق في سبيل الاحتياطات العمومية التي تتخذها الصين لنماء التجارة والصناعة في منشوريا وستكون هذه الاحتياطات واحدة لجميع الامم على السواء

المادة السادسة . يستثمر الروس واليابانيون معاً سكة حديد منشوريا في كوانچ تسي ولا تستعمل اجزاء هذه السكة التابعة لكل فريق من الفريقين الاَّ لنقل المتاجر فيبقى للروس

جميع الحقوق التي خولت لهم باتفاقهم مع الصين على انشاء السكة الحديدية وتتلك اليابان المتاجم التابعة لقسم سكة الحديد الذي يعطى لها وتحترم حقوق الاشخاص والاعمال الخصوصية ويترك للفريقين المتعاقدين الحرية التامة في اجراء ما يستحسنانه على الاراضي التي نزعت ملكيتها

المادة السابعة . يتكفل الروس واليابانيون معاً بوصل خطي السكة الحديد التي تخص كلاً منهما في كوانج تشنج تسي

المادة الثامنة . اتفق الفريقان على ان يضمنا للسكك الحديدية المشورية نقل التجارة بلا مقاومة ولا تضييق

المادة التاسعة . يتنازل الروس لليابان عن القسم الجنوبي من جزيرة سخالين الى الدرجة ٥٠ من العرض الشمالي والجزر التابعة لها وتضمن حرية الملاحة في خليجي بيروز وتارتاري

المادة العاشرة . يكون المستعمرون الروسيون احراراً في القسم الجنوبي من سخالين فيحق لهم ان يبقوا فيه من غير ان يغيروا جنسيتهم ولكن يجوز لليابان من جهة ثانية ان تلزم المسجونين الروسيين بترك الاراضي التي اعطيت لها

المادة الحادية عشرة . تعقد روسيا اتفاقاً مع اليابان تمنح الرعايا اليابانيين حق الصيد في مياه الاراضي الروسية من بحور اليابان واخوتسك وبيرين

المادة الثانية عشرة . تكفل الفريقان المتعاقدان بان يجددا المعاهدة التجارية المعقودة بين الحكومتين قبل الحرب بكل معانيها مع تعديلات طفيفة في تفاصيلها

المادة الثالثة عشرة . يتكفل الروس واليابانيون معاً برد اسرى الحرب ودفع المصاريف الحقيقية التي صرفت عليهم ويجب ان تؤيد هذه المصاريف بمستندات خطية

المادة الرابعة عشرة . تكتب هذه المعاهدة باللغتين الفرنسوية والانكليزية ويعول الروس على النص الفرنسوي واليابانيون على النص الانكليزي واذا وقع خلاف في تفسير شيء منها يرجع في حله الى النص الفرنسوي وحده

المادة الخامسة عشرة . يمضي امبراطورا الحكومتين التصديق على هذه المعاهدة في مدة لا تتجاوز خمسين يوماً من تاريخ امضائها ويكون سفراء فرنسا واميركا وسطاء بين حكومتي اليابان والروس فينقلون بالتغراف خبر المصادقة عليها . انتهى

وواضح ان الدولتين خرجتا من الحرب خاسرتين ولم يكسب منها الا ارباب الاموال والمعامل في اوربا واميركا فان الدولتين استدانتا واشترتا منهم ما يساوي مئتي مليون جنيه وتعهدتا بدفع الربا الفاحش

الاحتضارات والقبريات

بقلم عيسى افندي اسكندر المعلوف مدرس آداب اللغة العربية والخطابة في الكلية الشرقية في زحلة (لبنان)

ويروى ان عدي بن ربيعة المهلهل لما اسنّ وخرف وكان لهُ عبدان يخدمانهِ فملاّ منهُ خرج بهما يريد سفرًا فاناخا بهِ في الفلوات وعزما على قتلهِ فلما عرف ذلك كتب بسكين على رحل ناقتهِ هذا البيت ويروى انهُ اوصاهما ان يقولاهُ لولديهِ وهو

من مبلغ الحيين انّ مهلهلا لله دركما ودرُّ ابيكما

ثم قتلاهُ ورجعا الى قومهِ فقالا مات . وانشداها قولهُ محتضرًا . ففكر بعض ولدهِ وقال ان مهلهلاً لا يقول هذا الشعر الذي لا معنى لهُ وانما اراد ان يقول

من مبلغ الحيين انّ مهلهلا أمسى قتيلاً في الفلاة مجندلا
لله دركما ودرُّ ابيكما لا يبرح العبدانِ حتى يقتلا

فضربوا العبدين فاقرّا بقتلهِ فقتلا بهِ في سنة ٥٠٠ م

وهذا اشبه بما يروى ان شاعرًا التقى بعدوهِ منفردًا فهم بقتلهِ . فقال لهُ : انا اعلم ان المنية قد حضرت ولكن سألتك الله اذا انت قتلتني فامضِ الى داري وقف بالباب ونادِ

ألا ايها البنتان ان اباكما .....

فاقسم لهُ بالوفاء . فقتلهُ وسار الى بابهِ وانشد . وكان للشاعر ابنتان فلما سمعتا قولهُ اجابتاهُ

..... قتيلُ خذا بالثار ممن اتاكما

ثم انهما تعلقتا بالرجل وحملتاهُ الى الحاكم فاستقرهُ فاقرّ بقتلهِ وقُتل بابيهما

ولما رمى وزرُ بن جابر النبهانيُّ عنترة العبسي المشهور بنبلة قطعت ظهرهُ تحامل بالرمية حتى اتى اهلهُ فقال وهو مجروح

وان ابن سلمى عندهُ فاعلموا دمي وهيهات لا يرجى ابن سلمى ولا دمي
إذا ما تمشّى بين اجبالِ طيّئٍ مكان الثريا [1] ليس بالمتهضم
رماني ولم يدهش بأزرقَ لهذمٍ [2] عشيّة حلّوا بين نعف ومحزمِ [3]

ثم مات على اثر ذلك الجرح سنة ٦١٥ م :

(١) اي ذو رفعة ليس بذليل (٢) الحادّ القاطع من الاسنة (٣) اسم محلين

وقال لبيد بن ربيعة العامري يخاطب ابنتيهِ محتضرًا (توفي سنة ٦٨٠ م)

تمنّى ابنتايَ ان يعيش ابوهما وهل انا الّا من ربيعة او مُضرْ
فقوما وقولا بالذي تعلمانهِ ولا تخمشا وجهًا ولا تحلقا شعَرْ
وقولا هو المرء الذي لا صديقهُ اضاع ولا خان الخليل ولا غدَرْ
الى الحول ثمّ اسمُ السلام عليكما ومن يبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذرْ

ولما ماتت ليلى العامرية اتى المجنون (قيس بن الملوّح العامري) الى الحيّ وسأل عن قبرها فلم يهدوهُ اليهِ فاخذ يشمّ تراب كلّ قبرٍ يمرّ بهِ حتى تراب قبرها فعرفهُ وأنشد :

ارادوا ليخفوا قبرها عن محبها وطيبُ تراب القبر دلّ على القبرِ

ولم يزل يكرّر البيت حتى مات ودفن الى جنبها

ولما حضرت عبيدَ الله بن شدّاد الوفاة دعا ابنهُ محمدًا فأوصاهُ وقال لهُ : " يا بنيَّ أرى داعي الموت لا يُقلع . وبحق إن مضى لا يرجع . ومن بقي فإليهِ ينزع[1] . يا بنيَّ ليكن أولى الأمور بك تقوى الله في السرّ والعلانية . والشكر لله وصدق الحديث والنيَّة فان للشكر مزيدًا والتقوى خير زاد كما قال الحطيئة :

ولستُ ارى السعادة جمع مالٍ ولكنَّ التقيَّ هو السعيدُ
وتقوى الله خير الزاد ذخرًا وعند الله للأتقى مزيدُ
وما لابدَّ أن يأتي قريبٌ ولكنَّ الذي يمضي بعيدُ

وقال ابن قتيبة : بلغني ان اول من بكى على نفسهِ وذكر الموت في شعرهِ يزيد بن خرّاق فقال:

هل للفتى من بنات الدهر من واق ام هل لهُ من حِمام الموت من راق
قد رجّلوني[2] وما بالشعر من شعَثٍ[3] والبسوني ثيابًا غير اخلاقِ[4]
وطالبوني وقالوا ايّا رجلٍ وادرجوني كأني طيّ تخراقِ[5]
وارسلوا فتيةً من خيرهم حسبًا ليسندوا في ضريح القبر اطباقي[6]
وقسموا المال وارفضّت عوائدهم[7] وقال قائلهم مات ابن خرّاقِ
هان[8] عليك ولا تولع بإشفاقٍ فإنما مالُنا للوارث الباقي

---

(١) يميل (٢) من رجل الشعر اذا سرّحهُ (٣) تلبدهُ لثلة الطيب (٤) جمع خلق اي بالية (٥) منديل ويريد الكفن (٦) جمع طبق وهو عظم رقيق يفصل بين كل فقارتين ويريد به الجسم من باب تسمية الكل باسم الجزء (٧) اي تفرّقت النساء الزائرات لي في مرضي (٨) المشهور هوّن عليك والصدر مثل والاشفاق الخوف

وقال عروة بن حزام لما نزل به الموت :

من كان من أخواتي باكيًا ابدًا فاليوم اني أراني اليوم مقبوضا
ليسمعنّيه إني غير سامعه اذا علوتُ رقاب القوم معروضا

وقال كليب وائل لقاتله جسّاس بن مرّة لما طعنهُ وادركهُ الموت : "يا جسّاس أغثني بشربةٍ من ماء" — قال جسّاس تجاوزت شبيثًا والأحصّ[1] فذهبت مثلاً ثم اجهز عليه

واستقدمت امرأة من بني حنظلة أمام عمرو بن هند لما اقسم انهُ ليحرقنّ من بني حنظلة مائة رجل في يوم أوارة بناحية البحرين . فبعد ان ناقشها الكلام قال لها : اما والله لولا مخافة ان تلدي مثلك لصرفتك عن النار . قالت : اما والذي أسألهُ ان يضع وسادك . ويخفض عمادك ويسلبك ملكك ما قتلت الاّ نساء ذوات ميسم ودين[2] . قال : افذنوها في النار . فالتفتت فقالت : " ألا فتًى يكون مكان عجوز " — فلما ابطأوا عليها قالت " كأن الثيران حمّى " فأحرقت وذهب كلامها مثلاً

ولما حضرت زُرارة بن عدّس الحنظليّ الوفاة جمع بنيه واهل بيته ثم قال : " انهُ لم يبقَ لي عند احد من العرب وِتر[3] الاّ وقد ادركتهُ غير تحضيض الطائيّ ملقط الملك علينا . حتى صنع ما صنع . فأيكم يضمن لي طلب ذلك من طيّئ " — قال عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد : " أنالك بذلك يا عمّ " فمات زُرارة مطمئنًا

وقال لقيط بن زُرارة لما طعنهُ شريح وارتثّ اي حمل مجروحًا وقربت ساعتهُ مخاطبًا ابنتهُ دخنوس

يا ليت شعري عنك دخنوسُ اذا اتاكِ الخبرُ المرسوسُ[4]
أتحلق القرونَ[5] ام تميسُ لا بل تميس انها عروسُ

وقال عبد يغوث بن صلاءة رئيس مذحج في يوم كُلاب الثاني لما شدّوا على لسانهِ نسعة اي قطعة من سير : — " انكم قاتليّ ولا بدّ فدعوني أذمّ اصحابي وأنوح على نفسي " — فقالوا : " انك شاعر ونخاف أن تهجونا " فعقدلهم ان لا يفعل فأطلقوا لسانهُ واسهلوهُ حتى قال قصيدتهُ هذه :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا فما لكما في اللوم نفعٌ ولا ليا
ألم تعلما أنّ الملامة نفعُها قليلٌ وما لومي أخي من سماتيا

(١) اسم موردين (٢) اي حسن وجمال (٣) بمعنى الثار (٤) من رسّ الخبر القوم واخبارهم اذا تعرّفها (٥) اي الشعر

فيا راكبًا إما عرضت فبلغَنْ ... نداماي من نجران أن لا تلاقيا
أبا كرب والأيهمين كليهما ... وقيسًا بأعلى حضرموت اليمانيا
جزى الله قومي بالكُلاب ملامةً ... صريحهمُ والآخرين الموالي
ولو شئتُ نجّاني من القوم نهدةٌ (١) ... ترى خلفها الجردَ الجيادَ توالي
ولكنني أحمي ذمار (٢) ابيكمُ ... وكاد الرماحُ تخطفن المحاميا
أحقًّا عباد الله ان لست سامعًا ... نشيد الرعاء (٣) المعزبين (٤) المتاليا (٥)
اقولُ وقد شدُّوا لساني بنسعةٍ ... أمعشر تيمٍ اطلقوا لي لسانيا
وتضحك مني شيخةٌ عبشميةٌ (٦) ... كأن لم ترى قبلي اسيرًا يمانيا
أمعشرتيمٍ قد ملكتم فأسجحوا (٧) ... فإنّ اساري لم يكن من توانيا
فان تقتلوني تقتلوني سيدًا ... وان تطلقوني تحربوني (٨) بماليا
وقد علمت عرسي مليكة أنني ... انا الليثُ معدوًّا عليه وعاديا
قد كنتُ نجارَ الجزور ومعملَ المطيِّ وامضي حيث لا حيّ ماضيا
واعقر (٩) للشرب (١٠) الكرام مطيتي ... واصدع (١١) بين القينتين (١٢) ردائيا
وكنت اذا ما الخيل شمصها (١٣) القنا ... لبيقا (١٤) بتصريف القناة بنانيا
فياعاصِ فكّ القيد عني فانني ... صبورٌ على مرّ الحوادث ناكيا
وعادية (١٥) سومٍ (١٦) الجراد وزعتها (١٧) ... بربحي وقد أنحوا (١٨) علي العواليا (١٩)
كأنيَ لم اركب جوادًا ولم اقل ... لخيليَ كرّي قاتلي عن رجاليا
ولم اسبإ (٢٠) الزقّ الرويّ ولم اقل ... لايسار صدقٍ اعظموا ضوء ناريا

فما انتهى حتى ضربوا عنقهُ نحو سنة ٥٨٠ م

وقال عدي بن زيد العبادي وهو في حبس النعمان بن المنذر قبل ان اتى على نفسه في سنة ٥٨٧ م : (وتروى مقيدة الروي)

---

(١) فرسٌ حسنة (٢) ما يلزمك حفظه من عِرض ونحوه (٣) جمع راعٍ (٤) المصيبين الكلأ البعيد (٥) التالي من الابل التي لم تنج حتى صافت (٦) مخوتة من عبد شمس (٧) اسجح الوالي احسن العفو (٨) تصادروني (٩) انحر واذبح (١٠) جمع شارب كالصحب جمع صاحب (١١) أمزّق واشق (١٢) مثنى قينة وهي الجارية المغنية (١٣) طردها طردًا عنيفًا (١٤) هو ذو اللبق اي الحذق والرفق بالعمل (١٥) جماعة القوم يعدون للقتال (١٦) من سامت الطير على الشيء حامت او من سامت الابل والريح مرت (١٧) دفعتها (١٨) بمعنى وجهوا (١٩) صدور الرماح (٢٠) اشتر وابتع

ابلغ النعمان عني مألكاً (١) انهُ قد طال حبسي وانتظاري
لو بغير الماء حلقي شرقٌ كنت كالغصان بالماء اعتصاري (٢)
وعداتي ثُمَّتٌ اعجبهم انني غُيِّبْتُ عنهم في اساري
لامرىء لم يبل مني سقطة ان اصابتهُ ملمات العثار
فلئن دهرٌ تولى خيرهُ وجرت بالنحس لي منهُ الجواري
ربما منهُ قضينا حاجةً وحياة المرء كالشيء المعار

ولما رمي ربيعة بن مكدم في يوم الكديد لحق بالظعن يستدمي حتى انتهى الى امهِ ام سنان فقال: على يدي عصابة . وهو يرتجز ويقول

شدي عليَّ العَصْب (٣) ام سيَّار فقد رزبتِ فارساً كالدينار
يطعن بالرمح امام الادبار

فقالت امهُ انا بنو ثعلبة بن مالكِ مرور اخبارٍ انا كذلكِ
من بين مقتولٍ وبين هالكِ ولا يكون الرزء الاَّ ذلكِ

وشدت امهُ عليهِ عصابة فاستسقاها ماء فقالت: ان شربتَ الماء متَّ فكرَّ على القوم . فكرَّ راجعاً يشتدُّ على القوم وينزفهُ الدم حتى أُثخن (٤) فقال للظعن: "أوضعن ركابكنَّ حتى ينهين الى ادنى البيوت من الحي فاني لما بي سوف اقف دونكنَّ لهم على العقبة فاعتمد على رمحي فلا يقدمون عليكنَّ لمكاني" ففعلن ذلك فنجونَ الى مأمنهنَّ ثم مات . قال ابو عمرو بن العلاء: ولا نعلم قتيلاً ولا ميتاً حمى الاظعان غيرهُ

وكان توبة بن الصمة محاسباً لنفسهِ في اكثر آناء (٥) ليلهِ ونهارهِ فحسب يوماً ما مضى من عمرهِ فاذا هو ستون سنة فحسب ايامها فكانت احدى وعشرين الف يوم وخمسمائة يوم فقال ياويلتا التي مالكاً باحدى وعشرين الف ذنب" — ثم صعق (٦) صعقة كانت فيها نفسهُ

وقال عمرو بن زيد بن المتني يوصي ابنهُ وهو يجود بنفسهِ

أبنيَّ زوِّدني اذا فارقتني في القبر راحلةً برحل فاترِ (٧)
للبعث اركبها اذا قيل اظعنوا مستوسقين (٨) معاً لحشر الحاشرِ

---

(١) رسالةً (٢) من اعتصر بالماء ما غص بهِ من الطعام اي شربهُ قليلاً قليلاً ليسيغهُ (٣) البُرُد ويريد هنا ما يشد بهِ الجرح منهُ (٤) وهن وضعف (٥) جمع اني وهو عامة النهار (٦) غشي عليهِ وذهب عقلهُ من صوت بسمعهُ كالصاعقة ونحوها (٧) الفاتر من الرحال والسرج الجيد الوقوع على الظهر او النطيف ومنها الذي يفي الظهر ولا يعقرهُ (٨) مجتمعين

من لا يوافيهِ على عثراتهِ فالخلق بين مدفّع او عاثرِ

وقام ابو عبيدة بن الجراح خطيباً في طاعون عمواس فقال: "ايها الناس ان هذا الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وان ابا عبيدة يسأل الله ان يقسم لهُ منهُ حظهُ" — فما أتم كلامهُ حتى اصابهُ الطاعون فمات لوقتهِ سنة ١٨ هـ ٦٣٩ م

وقال خالد بن الوليد عند موتهِ "لقيت كذا وكذا زحفاً وما في جسمي موضع شبر الاَّ وفيهِ ضربة او طعنة ثم ها انا ذا اموت حتف انفي[1] كما يموت البعير فلا نامت اعين الجبناء" توفي سنة ٢١ هـ ٦٤٣ م

وارتجز رُوَيد بن زيد محتضراً

اليوم يبنى لدويد بيتهُ لو كان للدهر بلا ابليتهُ
او كان قرني[2] واحداً اكفيتهُ يارب نهبٍ صالحٍ حويتهُ
ورب خيلٍ[3] حسنٍ لويتهُ ومعصمٍ[4] مخضّبٍ ثنيتهُ

واستدعى جريدة بن الاشيم الاسدي ابنهُ سعيداً فاوصاهُ وهو بلفظ انفاسهُ

ياسعد إما أهلكنّ فانني أوصيك ان اخا الوصاة الاقربُ
لا تتركنّ اباك يعثر راجلاً في الحشر يصرع لليدين وينكبُ
واحمل اباك على بعيرٍ صالحٍ وسقِ الخطيا[5] انهُ هو اقربُ
ولعلّ لي مما تركتُ مطيةً في القبر اركبها اذا قيل اركبوا

ونبغ جوشن بن قنفذ الكلابيّ في الشعر ومنعهُ عنهُ ابوهُ فجاش في صدرهِ ومرض حتى اشرف على الموت فاذن لهُ ابوهُ في انشادهِ: فقال "حال الجريض دون القريض" والجريض غصة الموت فذهب قولهُ مثلاً وقيل قالهُ عبيد بن الابرص للنعمان

وقال درّاج لما طعن

شدي عليّ العصب أم كهمس ولا تهُلك اذرع وارؤس
مقطعات ورقاب خنس[6] فانما نحن غداة الانحس
هيم[7] بهيم[8] طليت تمرّس[9]

(١) لغير علة (٢) نظيري وكفوي (٣) ساعد ريان ممتلئ (٤) موضع السوار من اليد (٥) مشي رويد اي على مهل (٦) منتبضة (٧) جمع هيماء وهي الناقة التي اصابها داء الهيام من العطش (٨) جمع هيماء وهي المفازة بلا ماء (٩) تمرس بمعنى تحتك من الجرب

ولما احس الخطيئة الهجاء بالموت اجتمع اليهِ قومهُ فقالوا : يا مليكة اوص فقال : ويل للشعر من رواية السوء . قالوا اوص رحمك الله يا حطيئُ قال : من الذي يقول

اذا أَنبض الرامون عنها ترنَّمت ترنم ثكلى اوجعتها الجنائزُ

قالوا الشمَّاخ . قال ابلغوا غطفان أَنهُ أَشعر العرب . قالوا ويحك أَهذه وصيةٌ اوصِ بما ينفعك . قال ابلغوا اهل ضاربٍ انهُ شاعر حيث يقول :

لكلِّ جديد لذَّةٌ غير انني رأَيت جديد الموت غير لذيذِ

قالوا اوصِ ويحك بما ينفعك . قال ابلغوا اهل أَمرىء القيس انهُ اشعر العرب حيث يقول :

فيا لك من ليلٍ كأَنَّ نجومهُ بكل مغار الفتل شُدَّت بيذبلِ

قالوا اتقِ الله ودع عنك هذا قال : ابلغوا الانصار ان صاحبهم اشعر العرب حيث يقول :

يغشون حتى ما تهرُّ كلابهم لا يسألون عن السواد المقبلِ

قالوا هذا لا يغني عنك شيئًا فقل غير ما انت فيهِ فقال :

الشعر صعبٌ وطويلٌ سلَّمهُ اذا أَرتقى فيهِ الذي لا يعلمهُ

زلَّت بهِ الى الحضيض قدمهُ يريد ان يعربهُ فيعجمهُ

قالوا هذا مثل الذي كنت فيهِ فقال :

قد كنت احيانًا شديد المعتمدْ وكنت ذا غربٍ على الخصم أَلدْ

فوردت نفسي وما كادت تَرِدْ

قالوا : يا ايا مليكة أَلك حاجة . قال : لا والله ولكن اجزع على المديح الجيد يمدح بهِ من ليس لهُ اهلاً

قالوا : فمن اشعر الناس . فأَومأَ بيدهِ الى فيهِ وقال هذا الجُحَيْرُ[1] اذا طمع في خير . يعني فمهُ واستعبر باكيًا فقالوا لهُ قل لا اله الاَّ الله فقال :

قالت وفيها حيدةٌ وذعرُ عوذي بربي منكم وحجرُ

فقيل لهُ ما تقول في عبيدك وإمائك . فقال : هم عبيد قنّ[2] ما عاقب الليل النهار . قالوا فاوصِ للفقراء بشيء قال أُوصيهم بالإلحاح في المسألة فانها تجارة لا تبور . قالوا فما تقول في مالك . قال للأُنثى من ولدي مثلا حظ الذكر . قالوا ليس هكذا قضى عزَّ وجلَّ قال : لكني هكذا قضيت . قالوا . فما توصي لليتامى قال : اكلوا اموالهم . قالوا فهل شيء تعهد

(١) تصغير جحر وهو الغار البعيد القعر (٢) اي ملكوا هم وآباؤهم يقع على المفرد والجمع والمؤنث

فيه غير هذا قال نعم . تحملوني على اتان وتتركوني راكبها حتى اموت فإن الكريم لا يموت على فراشه والأتان مركب لم يمت عليه كريم قط . فحملوه على أتان وجعلوا يذهبون به ويجيئون عليها حتى مات وهو يقول :

لا احدٌ ألأمُ من حطيئهْ هجا بنيه وهجا المرّيّهْ
من لؤمه مات على فُرَيّهْ (١)

وتوفي في خلافة عمر بن الخطّاب

ولما رُمي بشر بن ابي حازم بن عوف الأسديّ الشاعر بسهم في غزوة بني وائل ونفذ في صدره خرّ عن فرسه وانشد عند موته ٥٣٠ م :

اسائلة عميرة عن ابيها خلال الجيش تعترف الركابا
تؤمل ان اعود لها بنهب ولم تعلم بأن السهم صابا
فإنّ أباكِ قد لاقى غلاماً من الابناء يلتهبُ التهابا
وإن الوائليّ أصاب قلبي بسهم لم يكن نكساً (٢) محابي (٣)
فرجي الخير وانتظري إيابي اذا ما القارظ العنزيّ آبا (٤)
فمن يكُ سائلاً عن بيت بشرٍ فإنّ لهُ بجنب الردّ بابا
ثوى في ملحدٍ (٥) لا بدّ منهُ فأذري الدمع وانتحبي انتحابا
مضى قصد السبيل وكل حيّ إذا حانت منيّتُهُ اجابا

وروى ابو الحباب أنّ معاذ بن جبل لما أُحضر قال لخادمته ويحكِ هل أصبحنا . قالت لا . ثم تركها ساعةً ثم قال لها انظري فقالت نعم . قال أعوذ بالله من صباح الى النار . ثم قال مرحباً بالموت مرحباً بزائرٍ جاء على فاقة لا افلح من ندم . اللهمّ انك تعلم أني لم أحبّ البقاء في الدنيا لجري الأنهار وغرس الاشجار ولكن لمكابدة الليل الطويل وظمإ الهواجر (٦) في الحرّ الشديد ومزاحمة العلماء بالرُّكب في مجالس الذكر " وتوفي سنة ١٨ هـ ٦٣٩ م

ستأتي البقية

(١) أتان (٢) السهم المنكسر (٣) اعيى الراتي خطأً الغرض ولم يصب غيرهُ من حابي
(٤) مثل لعدم العودة (٥) قبر (٦) جمع هاجرة وهي الظهيرة

ماضي الاحياء ومستقبلها

في السماء نجوم لا عديد لها واكثرها عوالم كلٌّ منها يكبر ارضنا الوفًا من المرات بل نسبة الارض اليها نسبة عزبة صغيرة فيها عشرون او ثلاثون بيتًا الى مدينة كبيرة مثل لندن او باريس فيها مئات الوف من البيوت فهل يعقل ان تكون الارض مسكونة وتلك العوالم خالية من السكان خلقت لكي تدور في افلاكها وتُرَى من الارض كنقطة صغيرة في كبد السماء والارض وحدها من بين كل العوالم تسكنها المخلوقات العاقلة وغير العاقلة وهي اصغرها جرمًا ولا تمتاز عليها بوجه من الوجوه

ثم انهُ ثبت بالادلة العلمية القاطعة ان المواد الكيماوية التي تتركب منها الاجرام السموية هي نفس المواد الكيماوية التي تتركب منها الارض اي ان طينة العوالم واحدة فعلى مَ لا تكون مسكونة كالارض بخلائق عاقلة مثلنا

لكن الاجرام السموية ليست الآن في الحالة التي فيها الارض من حيث الحرارة والبرودة والكثافة واللطافة اي لو انتقل الانسان الى المشتري او الى زحل او الى الزهرة ما استطاع السكنى فيها ساعة واحدة فان كان هناك خلائق حيَّة عاقلة فهي ليست مثلنا في شيء

ويُعلَم بالبحث ان الارض لم تكن في عصورها الغابرة ولا تكون في العصور التالية كما هي الآن فان كانت الاجرام السموية مسكونة فالارض كانت مسكونة ايضًا لما كانت شديدة الحمو مثل بعضها وستبقى مسكونة بعد ان تصير شديدة البرودة مثل البعض الآخر

كتب العالم جفري مارتن مقالة في جريدة العلم الانكليزية يبحث فيها بحثًا جديدًا في ماهية الحياة واصلها فأبان اولاً ان جميع المركبات الكيماوية تنحلُّ عند حرارة وضغط معلومين وان الحرارة اللازمة لحل المواد تختلف باختلاف عدد الجواهر التي تتألف منها كلٌّ دقيقة من دقائق المادة وصفة تلك الجواهر . ثم بحث في ما يكون تركيب المادة التي آخر ما تحتملهُ من الحرارة والضغط يطابق الحرارة والضغط اللذين على الارض الآن وما تكون خصائص تلك المادة واستنتج انهُ لا يستحيل على الاحياء ان تعيش والحرارة شديدة جدًّا كما لا يستحيل عليها ان تعيش والبرد شديد جدًّا . قال

اذا وضعنا مركبًا كيماويًّا مثل كربونات الكلس مثلاً في اسطوانة مسدودة وعرضناهُ لحرارة متزايدة وضغط مستمرّ اخذ في الانحلال عند بلوغ درجة معلومة من الحرارة . ثم اذا

زدنا الضغط توقف الانحلال وصار المركّب يحتمل حرارة أعلى من الحرارة الاولى من غير ان يتحلّ . واذا استمرت على زيادة الحرارة وصلنا الى درجة تتساوى عندها القوى الخارجية التي من شأنها تفريق الجواهر بعضها عن بعض والقوى الداخلية التي تربط الجواهر بعضها ببعض في الدقيقة . وبناء على ذلك نقول انهُ اذا زادت الحرارة عن درجة معلومة فلا ضغط يمنع المادة من الانحلال التامّ مهما كان ذلك الضغط شديداً . وهذا الضغط وهذه الحرارة نسميهما الحدّ الاقصى لانحلال المركبات

وكلما قلّ عدد الجواهر في دقيقة من دقائق الجسم المركّب علا حدُّ الحرارة الاقصى لانحلاله وكلما كثر عددها انخفض هذا الحدُّ . والسبب في ذلك انهُ اذا كثر عدد الجواهر في دقيقة الجسم المركّب ضعفت القوة التي تربطها بعضها ببعض وهذا ظاهر من انهُ كلما زاد المركب اختلاطاً سهل انحلالهُ

اذا اردنا توليد مركب مختلط مثل هذا وجب ان نختار اساساً لنا جوهراً لهُ ميل شديد الى التركب مع غيره حتى نستطيع ان نضيف اليهِ جواهر اخرى مختلفة . والجواهر التي تضاف اليهِ يجب ان يكون فيها الفة نحوهُ وبعضها نحو البعض الآخر لتستقر على حال واحدة . وافضل العناصر المعروفة التي تصلح لان تؤخذ منها جواهر أساسية يبنى عليها ويضاف اليها انما هو الكربون . والعناصر التي لها الفة بعضها لبعض وللكربون وهي اكثر العناصر وجوداً على الارض انما هي الهيدروجين والاكسجين والنتروجين في المرتبة الاولى والكبريت والفصفور في الثانية . ولكن الفة الكربون للهدروجين والاكسجين والنتروجين ضعيفة في المواد التي تتركب منها (المواد الآلية) وحدُّ الحرارة الاقصى لانحلالها واطئ حتى انها تنحل اذا اشتدت الحرارة فصارت مثل حرارة النار

ثم انهُ لما كان جذب الجواهر بعضها لبعض في هذا المركب ضعيفاً فان جذب دقائقهِ بعضها لبعض يكون ضعيفاً ايضاً وعليهِ فاما ان يكون المركب سائلاً او شبه سائل قوامهُ كقوام الجلاتين . وهذا هو البروتوبلازم اساس المادة الحية فانهُ مركب من الكربون والهيدروجين والاكسجين والنتروجين وقليل من الكبريت والفصفور وقوامهُ مثل الهلام دائم التغير ما دامت الحياة فيهِ وحرارتهُ واحدة فاذا زادت عن حد انحلاله الاقصى انحل واضمحل حسب الظاهر واذا نقصت عنهُ بطل انحلالهُ فبطل عملهُ

اما سبب التغير المستمر الذي يطرأ على الجسم الآلي فهو التغير الدائم الذي يطرأ على الحرارة والضغط والفواعل التي تفعل في الارض من الخارج كالاشعاع والنور . وتركيب الجسم

الآلي هو بحيث يستطيع معهُ تكييف نفسهِ على حسب التغير الدائم في الاحوال المتسلطة على الارض وهذا التكييف هو ما نسميهِ بالحياة

والمرجح ان السبب في وجود اعضاء مختلفة في البروتوبلازم ذات وظائف مختلفة هو تفاوت اجزائهِ في التأثر بالمؤثرات الخارجية المتنوعة وان اختلاف الاعضاء يتمُّ بحلول دقائق النور او العناصر الثقيلة محل العناصر الخفيفة التي يتركب البروتوبلازم منها

هذا وان الحرارة والضغط على سطح الارض ليسا الآن مثلما كانا عليهِ في سالف الزمان بل المرجح ان الارض كانت شديدة الحرارة فيما مضى وانها تبرد على التوالي اي انها كانت في اوائل عمرها كتلة نار تحيط بها سحب كثيفة من البخار . وعليهِ فان وجد فيها احياء حينئذٍ فلا بدَّ ان تركيبها كان يختلف عن تركيب الاحياء الموجودة فيها الآن لاختلاف حدّ الحرارة القصوى وحد الضغط الاقصى . وكلما زاد الضغط والحرارة زاد ميل الجسم الحي الى اضافة العناصر الثقيلة الى تركيبهِ وطرد العناصر الخفيفة الطيارة منهُ . فان وجد في الارض احياء حين كان ضغطها وحرارتها شديدين فلا بدَّ من ان العناصر التي كانت تلك الاحياء تتركب منها تختلف كل الاختلاف عن العناصر التي تتركب منها الآن . وفي رأيي ان تركيب المادة الحية مرَّ في ادوار نشوء وارتقاء مثل معظم الاشياء ولا يزال يمرُّ فيها الى الآن وانهُ حين كانت الارض كتلة بيضاء من شدة الحرارة كانت الاحياء تختلف عما هي عليهِ الآن . وان العناصر الرئيسة التي كانت تتالف منها كانت ثقيلة غير معدنية كالسلكا والكبريت والفصفور والاكسجين فلما جعلت الارض تبرد جعلت العناصر الخفيفة تطرد الثقيلة وتحل محلها حتى صار تركيب الجسم الحي كما يرى الآن

وربَّ سائل يسأل هل يوجد بين العناصر عنصر يفعل بالاجسام الحية في الحرارة العالية ما يفعل الكربون بها في الحرارة العادية . فالجواب نعم وهذا العنصر هو السلكا واوجه الشبه بينهُ وبين الكربون ميلهُ الشديد الى التركيب والفتهُ لبعض العناصر حتى يتكون من تلك الالفة عدد عظيم من الاجسام المختلطة التركيب مثل السليكات وما يشتق منها . والفرق الجوهري بين مركبات الكربون ومركبات السلكا انما هو في الحرارة فان مركبات الكربون اقرب الى الانحلال بالحرارة العادية

ولما كانت الحرارة التي يتولد البروتوبلازم عندها من الكربون هي الحرارة التي يكون عندها اكثر مركباتهِ مع الهيدروجين والاكسجين سائلاً او شبه سائل استدللنا على ان الحرارة التي تولد السلكا عندها مركبات غير ثابتة هي الحرارة التي تكون تلك المركبات

عندها سائلة او شبه سائلة او الحرارة البيضاء . وليس لدينا ادلة قطعية على ان الحياة لم تبدأ بمركبات الكربون بل بدأت بعناصر اكثر احتمالاً للحرارة مثل السلكا والفصفور والكبريت والاكسجين ولكن يرجح ان الاحياء وجدت بكثرة في السلكا المصهورة التي كانت تغطي سطح الارض في العصور الخالية ثم لما ماتت تلك الاحياء امتزجت اجسامها بمادة الصخر المصهور المحيطة بها من غير ان تترك خلفها اثراً يستدلُّ به على وجودها

وظاهر انهُ لما اخذت الارض تبرد وصلت حرارتها الى درجة دون ما تستطيع الاحياء المكونة من السلكا البقاء عندها فماتت لجمود مادتها . والذي اراهُ ان السلكا كانت قوام الحياة في عصر من العصور السالفة ثم حلَّ الكربون محلَّها على كرِّ الاعصر وتغير الاحوال ولم يبقَ لها آثر في اجسام الحيوانات الآن الا حيث يراد تقوية بنائها . اما النباتات فتحتوي مقادير كثيرة منها . ومثل هذا يقال في الكبريت والفصفور فان الانسان يحتوي شيئاً قليلاً من الكبريت ولا يعلم احد وظيفتهُ والدماغ والاعصاب تحتوي قليلاً من الفصفور . فلما اخذت الحرارة تبرد جعل الاكسجين يحلُّ محلَّ الكبريت في الاجسام الحية والنتروجين محلَّ الفصفور

هذا ولا يكاد يعقل ان وجود الاحياء انحصر في زمان مثل الزمان الحاضر تبعاً لما فيهِ من الحرارة والضغط . وكيف يتصور ان وجود الاحياء انحصر في هذا الزمان الذي لا يعدُّ شيئاً في طولهِ بالنسبة الى الدهور الطويلة التي مرَّت على الارض قبلما بردت حرارتها الى ما هي عليهِ الآن والدهور التي ستمرُّ بها قبلما تهبط حرارتها الى درجة الصفر المطلق . والقول بهذا مثل القول بان الشمس والاجرام السموية والكون بأسرهِ كان يدور حول الارض وانها هي مركز الخليقة كلها كما كان الفلكيون القدماء يزعمون

وهل يعقل ايضاً انهُ لا يوجد بين الالوف المؤلفة من العناصر ما يستطيع ان يكون مقرًّا للحياة سوى الكربون والميدروجين والنتروجين والاكسجين . فاننا اذا درسنا خصائص هذه العناصر الاربعة وقابلناها بخصائص العناصر الاخرى لا نرى فيها ما يمتاز بهِ فريق عن فريق بل ان كلَّ خاصة من خصائص هذه العناصر الاربعة موجودة في العناصر الاخرى على درجة متفاوتة من القلة او الكثرة . فلماذا نقول انها هي وحدها قوام الحياة دون غيرها . اما كون الاحياء التي على الارض تتألف منها على الاكثر فربما كان ذلك صدفة واتفاقاً . فانها وجدت وفيها الصفات التي تجعلها اكثر ملاءمة من العناصر الاخرى لان تتركب الاحياء منها عند الحرارة والضغط اللذين في الارض الآن . ونحنُ نعلم ان الخصائص الكيماوية تتغير كثيراً بتغير الحرارة والضغط اللذين تتعرض العناصر لهما حتى لقد قال بعضهم انهُ يمكننا تغيير خواص

العناصر الكيماوية تحت حرارة وضغط معلومين بتغيير الاحوال الخارجية التي تكون تلك العناصر فيها . فاذا كان الامر كذلك لم يسعنا سوى الاستنتاج ان عناصر اخرى تتغير كذلك في احوال خارجية اخرى حتى يمكن ان تدخل في تركيب الاحياء مع انها لا تستطيع ذلك تحت الحرارة والضغط المعروفين الآن

وفي الفضاء ملايين الملايين من الكواكب والسيارات والاجرام المتأججة من شدة الحرارة وكثير من الشموس المظلمة التي تختلف احوالها الطبيعية عن احوال ارضنا فهل هذه كلها خالية من المخلوقات الحية أو لا يرجح العقل ان الاحياء موجودة فيها ولكن على صور واشكال وتراكيب تختلف عن صور الاحياء الارضية واشكالها وتراكيبها

ولا يطمئن العقل الاَّ اذا اعتقد ان الحياة قديمة بل هي مثل الكون قدمًا . وقد وجدت على الدوام في العالمين والارض في جملتها وستبقى على الدوام مهما آل اليه امر الارض . والبروتوبلازم الارضي نتيجة نشوء وارتقاء في دهور وعصور لا يحصى عديدها من العصور التي كانت الارض فيها كتلة نارية الى هذا اليوم . وقد تناوبت العناصر كلها في تركيبه فدخله البعض ثم خرج ليحلَّ غيرهُ محلهُ . والعناصر التي تركب البروتوبلازم منها اولاً كانت اثقل من غيرها واقل تبخرًا ثم لما جعلت الارض تبرد جعلت العناصر الخفيفة تحلُّ محلَّ الثقيلة حتى اتخذت الاحياء صورها الحالية وتراكيبها المعروفة . وهذا التبديل بين العناصر من الثقيلة الى الخفيفة يكاد يكون تامًّا الآن اي انهُ لا ينتظر ان يحدث تغيير كبير في تركيب الاحياء بعد لان العناصر التي يتركب البروتوبلازم منها من اخفِّ عناصر الكون فلا يوجد اخفُّ منها ليحلَّ محلها . ولكن الارض لا تزال تبرد وعليهِ فان الاختلاف بين حرارة الاحياء وحرارة الارض والهواء آخذ في الزيادة على مرِّ القرون فلا بدَّ من ان يصعب حفظ الحياة رويدًا رويدًا

***

من الشروط التي لا بدَّ منها لظهور الحياة في الجسم الحي السيولة فان المادة الحية تقتضي ان تتحرك بسهولة فيجب ان تكون في سائل وهي نفسها تشبه السائل في قوامها . وكلُّ الدلائل تدلُّ على ان السيولة شرط لازم من شروط الحياة حتى لقد قيل ان الاحياء ظهرت اولاً في الماء ثم انتقلت منهُ الى اليابسة . ومما يؤيد ذلك ان الماء يؤلف الجانب الاكبر من تركيب الاحياء سواء كان مركبًا بها او غير مركب

والغرض من كون الاحياء سائلة او شبه سائلة ظاهر من درس طبائعها الكيماوية فانها

مركبة من جواهر مختلفة دائمة التغير . ومن اهم شروط الحياة التغير ولا يتمُّ هذا التغير في الجسم الحيّ لمقاومة التحلل الدائم الاَّ بواسطة جسم سائل او شبه سائل . فاذا كانت الاحوال الطبيعية الخارجية من حرارة وضغط تمنع وجود المادة الحية في صورة سائل او شبه سائل لم يمكن وجود الحياة فيها كما نعرفها الآن

وعليهِ يجب ان يكون تركيب الاحياء مطابقاً للاحوال الطبيعية الخارجية من حرارة وضغط الى حدّ ان تبقى تلك الاحياء دائمة السيولة . ويظهر لنا من مراجعة تاريخ الارض ان تلك الاحوال كانت تختلف عما هي عليهِ الآن . فقد اتى على الارض حين من الدهر كانت فيهِ كتلة نار ولم يكن القمر قد انفصل عنها بعدُ فاخذت تبرد حتى نقصت حرارتها الى ما هي عليهِ الآن ولا تزال تبرد ولا بدَّ ان يأتي يوم يخفض فيهِ معدَّل حرارتها من ١٥ درجة بميزان سنتغراد الى الصفر فعشر درجات تحت الصفر فمئة فاوطأ من ذلك الى درجة يجمد الهيدروجين عندها

وحرارة الارض الآن اعلى قليلاً من الحرارة التي يتحول ماء الارض كلهُ عندها جليداً وقد ابتدأ دور التجمد حتى ان مساحات واسعة من سطح الارض جمد الماء فيها الى الابد ومتمتدُّ على مرّ الزمن حتى يجيء زمان تتحول فيهِ البحار والاوقيانوسات جليداً من سطحها الى قعرها فيظهر الماء للانسان المستقبل كأنهُ من الجوامد مثلما يظهر صخر الرخام لنا

وقد يظهر لاول وهلة ان نتيجة هذا التجمُّد العام ابادة الاحياء برمتها لانهُ اذا جمد الماء كلهُ بات من المستحيل وجود المادة الحية في صورة سائل او شبه سائل . والماء كما لا يخفى قوام الاحياء وعلى سيولتهِ تتوقف سيولتها وحركتها . ولكن درجة جمود الماء يمكن تخفيضها باضافة بعض المواد الى الماء . مثال ذلك ان الماء الملح يبقى سائلاً عند درجة الجليد . ولو كانت الاحياء آلة جامدة لا تتكيف بالمكيفات الخارجية ليئسنا من بقاء الحياة في الاعصر المقبلة حين يسودُ البرد والظلام ولكن الدلائل الكثيرة تدلُّ على انها ليست آلة صماء بل تكيف نفسها بحسب الاحوال الخارجية المتغيرة . مثال ذلك اننا اذا رفعنا درجة حرارة الماء الذي يعيش فيهِ بعض الاحياء الصغيرة امكننا على مرّ الزمن ان نجعلها تعيش في حرارة لا تستطيع الاحياء التي من نوعها ان تعيش فيها ما لم تكن قد اعتادت المعيشة فيها مثلها بل تموت حالاً اذا تعرضت لها . فالمسألة الآن كيف تستطيع الاحياء ان تغير تركيبها حتى يمكنها المعيشة في درجة من البرودة اوطأ من درجة الجليد بكثير

والجواب على ذلك انهُ اذا كان لا بدَّ للاحياء ان تسلم من الموت برداً فلا بدَّ من ازالة

الماء منها تدريجاً واستبداله بمادة اخرى تبقى سائلة في درجة يجمد الماء عندها . وتلك المادة هي الكحول فانهُ لا يجمد الاَّ عند الدرجة ١٣٠ تحت الصفر بميزان سنتغراد والماء يجمد عند درجة الصفر . ثم ان الكحول اقرب المواد الى الماء في خصائصهِ الكيماوية والطبيعية بل هو ماء يحلُّ محلَّ جوهر من جوهري الهيدروجين اللذين فيهِ مادة اخرى . ثم ان الكحول يتمم وظائف كثيرة من وظائف الماء ولهُ علاقة بالمواد الآلية مثلهُ ولكن تلك العلاقة اضعف كثيراً من علاقة الماء بها وهو نتيجة اختمار الاحياء الدنيا ويكثر وجودهُ في النباتات والاثمار الناضجة المختمرة . فليس غريباً والحالة هذه ان يدخل في تركيب المواد الحية اكثر مما يدخل في تركيبها الآن ويحلَّ محلَّ الماء فيها على مر الزمان لاسيما وان بعض الاحياء الدنيا تولد الكحول في اجسامها . فاذا هبطت الحرارة الى تحت درجة الجليد لم يؤثر ذلك فيها لان الكحول يحلُّ محلَّ مائها

ومن المشهور ان سكان المناطق الباردة يشربون الكحول اكثر من سكان المناطق الحارة واذا برد انسان تراهُ يطلب الكحول ويشربهُ كأنهُ ينقاد بالغريزة اليهِ وعليهِ فلا بدَّ من ان هذا الميل الى الكحول يزيد كلما بردت الارض

ولا اسهل عليَّ من ان اتصوَّر الانسان يشرب الماء القراح اولاً ثم الماء ممزوجاً بقليل من الكحول كما يفعل الآن ثم يزيد الكحول ويقلل الماء بزيادة البرد على مر الدهور حتى يأتي زمان يشرب الكحول فيهِ صرفاً . وكلما زاد شربهُ للكحول زاد مقدار الكحول المذخور في جسمهِ وقل مقدار الماء حتى يحل الكحول محل الماء تماماً كما حل الاكسجين والنتروجين والكربون والهيدروجين محل الكبريت والفصفور والسلكا فيهِ او بقي من الماء اثر قليل في الجسم كما بقي فيهِ اثر قليل من الكبريت

اذاً أفليس ما يرى في الانسان الآن من الميل الى الاقلال من شرب الماء القراح والاكثار من شرب المشروبات الكحولية في البلدان الباردة طلائع الدور الجديد الذي بدأ الكحول فيهِ يحلُّ محلَّ الماء من جسم الانسان . وقد يحتمل ان سائلاً آخر غير الكحول يحلُّ محلَّ الماء كالزيت الذي يوجد بكثرة في اجسام الاسماك السابحة في البحور الباردة . وسواء حلَّ الكحول او الزيت او غيرهما محل الماء فمن المؤكد الذي لا ريب فيهِ انهُ اذا كان لا بدَّ من بقاء الاحياء في حرارة اوطأ كثيراً من حرارة سطح الارض الآن فلا بدَّ من ان يزول الماء من اجسامها ويحلَّ محلهُ سائل آخر لا يسهل تجميدهُ مثلهُ

عدد سكان العواصم الكبرى

اسم المدينة	المملكة	عدد سكانها	بحسب تعداد سنة
لندن	انكلترا	٦ ٥٨١ ٣٧١	١٩٠١
نيويورك	اميركا	٣ ٨٣٣ ٩٩٩	١٩٠٠
باريس	فرنسا	٢ ٧١٤ ٠٦٨	١٩٠١
برلين	المانيا	١ ٨٨٤ ١٥١	١٩٠٠
شيكاغو	اميركا	١ ٦٩٨ ٥٧٥	١٩٠٠
ڤينا	النمسا	١ ٦٣٥ ٦٤٧	١٩٠١
كنتون	الصين	١ ٦٠٠ ٠٠٠	تقديراً
طوكيو	اليابان	١ ٥٠٧ ٦٤٢	١٩٠٠
فيلادلفيا	اميركا	١ ٢٩٣ ٦٩٧	١٩٠٠
بطرس برج	روسيا	١ ٢٤٨ ٦٤٣	١٩٠٠
القسطنطينية	تركيا	١ ٠٠٠ ٠٠٠	١٩٠١
بكين	الصين	١ ٠٠٠ ٠٠٠	تقديراً
موسكو	روسيا	٩٨٨ ٦١٤	١٨٩٧
بونس ايرس	الارجنتين	٩٠٠ ٠٠٠	١٩٠٠
بياي	الهند	٧٧٦ ٨٤٣	١٩٠٠
غلاسكو	سكتلندا	٧٦٠ ٤٢٣	١٩٠١
بودابست	المجر	٧٣٢ ٣٣٢	١٩٠١
همبرج	المانيا	٧٠٥ ٧٣٨	١٩٠٠
لفربول	انكلترا	٦٨٥ ٣٧٦	١٩٠١
ريوجنايرو	برازيل	٦٧٤ ٩٧٢	١٩٠٠
وارسو	روسيا	٦٣٨ ٢٠٩	١٨٩٧
سنت لويس	اميركا	٥٧٥ ٢٣٨	١٩٠٠
القاهرة	مصر	٥٧٠ ٠٦٢	١٨٩٧

جزاء سِنِّمار

تليان وزوجتهُ

" غدًا يقتلونني أفلست الاَّ نذلاً جبانًا "

هذا ما كتبتهُ الى عشيقها امرأة بديعة الجمال بعد ان غلبها اليأس واشتدَّ بها الجزع وهي في السجن وقد قضي عليها بالموت . هذه هي تريزيا ابنة الكونت كباروس رجل فرنسوي الاصل اسباني المولد . كانت في سجن " لافورس " في باريس مع من طُرح فيهِ من الابرياء في عهد الجمهورية الاولى (١٧٩٤) وهم ينتظرون القتل علنًا بقلوب واجفة . وكان موعد قتلهم في غد اليوم الذي كتبت فيهِ ما كتبت وذلك في اليوم التاسع من شهر ترميدور[1] في السنة الثانية من الجمهورية الاولى

وكانت قد تزوجت قبل الثورة مركيز دي فونتناي وسكنا بوردو . ففي الثورة قُبض عليهما وطرحا في السجن بتهمة ان لها علاقة بالاشراف والاعيان وانهما كانا ينويان الفرار الى اسبانيا

وكان زمام الامر حينئذٍ بيد روبسبيير وانصارهِ ولهم احدى وعشرون الف لجنة من لجان الثورة بثَّت العيون والارصاد والجواسيس في جميع انحاء فرنسا يأمرون وينهون بما لم يبلغ اليهِ حوَل ملك فرنسوي ولا تجاوزهُ طول طاغية روماني في اكثر ايام رومية بؤسًا واشدها ظلمًا . فكانوا يحكمون الاحكام الجائرة وينفذونها ولا رادع لهم ولا رقيب عليهم حتى امتلأت السجون بالابرياء من الرجال والنساء

غير ان ما خصَّت بهِ هذه المرأة من الحسن الرائع والجمال البارع حال دون انزال البلاء بها وبزوجها فانها امتلكت لبَّ شاب من اكبر زعماء الثورة اسمهُ تليان كان قد أُرسل من باريس الى بوردو ليستأصل شأفة الملكية منها فبات وهو الآمر الذي لا يردُّ لهُ امر لا يستطيع ان يردَّ لها اشارة . وكان قد رآها قبل ذلك باربع سنوات وهو عامل في احدى مطابع باريس فافتتن بها . والآن اصبح الرجل الوحيد الذي يستطيع ان ينقذها من الموت فانقذها هي وزوجها

وتليان هذا اشتهر بالهجوم على قصر التويلري وكان من اشدّ زعماء الثورة بطشًا واعظمهم فتكًا اتى بهِ بونابرت معهُ الى مصر بعد انتهاء الثورة بخاء القاهرة وقضى مدة فيها يحرّر الجريدة

(١) الشهر الحادي عشر في روزنامة الجمهورية اولهُ ١٩ يوليو وآخرهُ ١٨ اغسطس واليوم التاسع منهُ اي ٢٧ يوليو مشهور لان روبسبيير احد كبار زعماء الثورة قتل فيهِ

الرسمية الفرنسوية المسماة "دكاد اجبسيان" ثم عزلهُ الجنرال منو. وكان وضيع الاصل ضعيف النسب صغير النفس مثل اكثر زعماء الثورة فلم يكن في معاملتهِ لها اكبر نفساً ولا اكثر مروءة وابرَّة مما طبع عليهِ. فصاحبها في بوردو وكارهة ثم تزوجها في باريس مكرهة. ولما اكل ما انتدب اليهِ في بوردو اخذها معهُ الى باريس. فنظر روبسبيير وغيرهُ من زملائهِ اليهِ والى علاقتهِ بها نظرة الشبهة والايجاس لانها من الاشراف فخافوا ان ينقلب عليهم فقبضوا عليها ثانية والقوها في سجن "لافورس" المذكور آنفاً وحكموا عليها بالقتل فكتبت الى تليان حينئذٍ تستثيرهُ للدفاع عنها قائلة "غداً يقتلونني افلست الآ نذلاً جباناً"

اما تليان فلم يكن الرجل الجبان الذي يصبر على الضيم والاذى ويقعد عن خلاص محبوبتهِ ولكن ما هي حيلتهُ فقد ضحى نفسهُ في سبيلها المرة الاولى وكاد يفقد ثقة اصحابهِ بهِ اكراماً لها ولم يحفظ لهُ مكانتهُ عندهم الآ ما كان يظهرهُ من الغيرة الشديدة على الثورة ومبادئها. فلم يجرأ على الانتصار لها هذه المرة ايضاً علماً بان ذلك لا يجديهِ نفعاً بل ربما اودى بهِ وبها معاً

ولكنهُ لم ييأس ولم يقنط بل سعى سعياً مستمرًّا لعلهُ يستطيع الى انقاذها سبيلاً. وكانت امهُ بوابة في منزل بشارع "لا يرل" وبجانب السجن منزل فيهِ بوابة أخرى صديقة لامهِ فكان يدخل المنزل كل يوم سرًّا فيرى من احدى نوافذهِ الامراة التي كانت شغلهُ الشاغل ويكلمها تارة بالاشارة وطوراً بالكتابة. ولم يكن يدري بموعد اعدامها حتى جاءتهُ هذه الرقعة منها فهاج وماج وارغى وازبد واقسم لينقذنها او يموت

ومهما كانت عيوب تليان ونقائصهُ فانهُ كان شجاعاً بطلاً اذا اثير ثار كأنهُ اسد رئبال فرأى ان السبيل الوحيد الى نجاة خليلتهِ قلب الهيئة المتربعة في دست الاحكام حينئذٍ واثارة ثورة وسط ثورة وتسليط فوضى على فوضى والقذف بروبسبيير وانصارهِ من حالق. ففكر في ذلك ملياً وعقد العزم عليهِ مع ما يحف بهِ من الاهوال والمخاطر. ولم يرعهُ الاقدام على هذه الثورة سعياً في تخليص امرأة فاما ان يخلصها او يقتل معها

***

جاء صباح التاسع من شهر ترميدور وهو اليوم الملقَّب "يوم اللَّهب" وأُعدت المركبات لنقل المحكوم عليهم بالقتل وعدتهم ستة وثلاثون نفساً ووقف الجلاَّد ومساعدوهُ في "ميدان الثورة" يشحذون آلات الذبح لساعة العصيبة. وعقدت الجمعية الوطنية برئاسة روبسبيير لتسمع ما يقولهُ هو وغيرهُ من الزعماء ولكن اعضاءها لم يبدوا من الارتياح ما جرت عادتهم بهِ قبلاً كأنهم ملُّوا تلك الحال وكأنهم يرومون الخلاص منها فلا يلزم لذلك سوى عزمة من عازم او

كلمة من قائل حتى يلتفّوا حولهُ فتنقلب آمال روبسبيير واتباعهِ احلاماً وتذهب مساعيهم ضياعاً

ولم تعدم الجمعية رجلاً يعزم تلك العزمة ويقول تلك الكلمة — رجلاً تمرّس بجميع فظائع روبسبيير ورجالهِ ومحارمهم وجزّاراً ترك بوردو سابحة في بحر من الدماء . فلما أزفت الساعة لقتل الابرياء وازدحم الموقف بجماهير المشاهدين وثب تليان وهيئتهُ واشارتهُ كمن أُصيب بمسّ من الجنون وصاح برجال الجمعية الوطنية ان ينهضوا من غفلتهم ويقاوموا جماعة العتاة الغاشمين الذين اغتصبوا السلطة من ايديهم وصيروا الجمعية الوطنية في حال من الرقّ والاستعباد لا يُصبر عليها وتركوا الجمهورية تسبح في سيل من دماء الابرياء

قال المؤرخ " لنوتر " يصف تليان في تلك الساعة ما يأتي

" وقف وعيناهُ تقدحان شرراً وصدرهُ يجيش غيظاً ويغلي غمراً فصعق سامعوهُ لما رأوا من اقدامهِ وما سمعوا من فصاحتهِ ثم بعث فيهم روح عزم وشجاعة فصيّر جمعيتهم التي كانت كأنها جثة من الغراء لا حياة فيها ولا شعور ولا حراك جسماً حيّاً فيهِ العظم والعصب . ولما أمسك روبسبيير من خناقهِ وجذبهُ الى الارض من مجلسهِ لم تمدّ يدٌ لا يقافهِ عند حدّهِ ولم يعلُ صوت للاعتراض على فعلتهِ . فهو قد خلّص الجمهورية وفرنسا بل العالم اجمع من غير ان يقصد ذلك او يدري بهِ . ولقد نال مأربهُ اقدم على ثورة لينقذ من الموت تلك التي احبّها "

فانتهى بذلك حكم الارهاب الذي ساد البلاد وكان شعارهُ اراقة الدماء ففتحت السجون وأُطلق منها سراح المسجونين المظلومين فلم تقلّ المركبات احداً الى ساحة الاعدام بعد ولا شحذت آلة الذبح لتضريب الاعناق وازهاق الارواح الاّ حين سيق روبسبيير وعشرون من انصارهِ بعد ايام قليلة الى حيث احتزت رقابهم وختم حكم الارهاب بدمائهم

وعظم شأن تليان بعد هذه الحادثة فصار سيّد فرنسا وقائدها وخدمها اجلّ خدمة في الشؤون العسكرية والملكية معاً . وكان من اعمالهِ انهُ صار حامي بونابرت حتى لقد قيل انهُ لولاهُ ما استطاع بونابرت ان يتوج رأسهُ بتاج فرنسا

على ان السعد لم يخدمهُ طويلاً بعد ذلك نعم انهُ كان راضياً بحالتهِ سعيداً بالحصول على اجمل نساء باريس ولكنها هي لم تكن راضية بذلك لانها اعتادت عيشة النعمة والترف مع زوجها الاول وتليان لم يكن موسراً ولو شاء لكانت لهُ زروع وأنعم وثروة طائلة مثل غيرهِ من زعماء الثورة الذين عرفوا كيف تُغتنم الفرص ولكن اباء نفسهِ حال دون جمعهِ للمال بالوسائط الدنيئة وكان يحسب نفسهُ اغنى الناس واسعدهم بحبيبتهِ والناس يحسبونهُ كذلك

ولما لم يبق امامهُ مطمح يطمح بابصارهِ اليهِ ولا مطمع يمنّي نفسهُ بهِ وكلّ ما يشتهيهِ عندهُ

عزم على اعتزال مناصب الحكومة والسكنى في منزل بسيط بعيداً عن الهموم والمشاغل لكن ابنة انكونت وزوجة المركيز لم يرضها شظف العيش . فقد كانت ناعمة البال مجبورة الخاطر ايام كان تليان يقيم الحفلات ويومِ الولائم فيؤمُّ داره كل ذي وجاهة وذات دلال ليسجدوا امامها — ايام كانت زوجة بطل ترميدور وسيّد فرنسا . اما الآن وقد اعتزل الشؤون العمومية وانزوى في منزل حقير انزواء الراهب العابد في ديره او الناسك الزاهد في مسكنه فلم يطب لها المقام معهُ بعد ذلك بل تاقت الى عيشتها السالفة وحنَّت الى منزلها الاول

وفي ذات يوم افتقدها فلم يجدها . وبيان الخبر ان صديقاً من اصدقائهِ الاغنياء بنى قصراً بديعاً في شارع مجاور لمنزلهِ ودعاها لزيارتهِ فسخرت بما رأتهُ فيهِ وصاحت وقد عرتهُ الدهشة" ما اجمل هذا القصر — هنا السعادة والهناء المقيم" فأجابها صاحبهُ " ما دام الامر كذلك فدونكِ مفتاحهُ "وكان هذا الحديث المقتضب بدء الفصل الثالث من رواية حياة هذه المرأة التي كانت مركيزة دي فونتناي فصارت مدام تليان والآن سمت نفسها باسمها وهي فتاة قبلما تتزوج اي — تريزيا كباروس . وكانت لم تجاوز الثلاثين من سنها وعادت لا تهتم بتليان الاَّ لتطلقهُ باسرع ما يمكن

***

وبدأ الفصل الرابع من رواية حياتها سنة ١٨٠٥ عند ما تزوجت برنس دي كرمان . وكان لها اربعة اولاد من تليان صبيٌّ وثلاث بنات ولكنها كانت تبذل الجهد في نسيان ما مضى ولم تلتقِ بتليان بعد ذلك سوى مرة واحدة وذلك ان ابنتهما البكر واسمها ترميدور كانت مخطوبة لنكونت دي ناربون بليه . فازف يوم زواجهما وكان لا بدَّ من حضور تليان لامضاء عقد الزواج على كره من اصحاب العرس . فحضر وامضى العقد ببساطة لا يشينها شين وهو الرجل الذي امضى قبل ذلك بعدة سنوات عقد زواج زوجين لولاهُ لم يصيرا امبراطورين (نابوليون وجوزفين)

ولما انتهى العقد تنازلت التي كانت زوجتهُ ودعتهُ لركوب مركبتها حتى الشانزاليزه بجوار منزلهِ الحقير فقبل دعوتها وركب معاً آخر مرة في الشوارع التي طالما ضجت بصدى الهتاف والابتهاج لرجل جعل لترميدور شأناً في التاريخ لا ينسى وقضى قضاءه مبرماً على حكم الارهاب والاستبداد

وفي ١٧ نوفمبر سنة ١٨٢٠ نشرت جرائد باريس خبراً موجزاً تنعي فيهِ المسيو تليان وتقول انهُ مات فقيراً مدفعاً في منزل حقير وكاد يضور جوعاً قبل موتهِ لولا ان الملك عيّن لهُ مرتباً طفيفاً من جيبهِ الخاص جزاء مساعدتهِ لهُ على خلع اخيهِ

السوريون في اميركا

دارت على اسلافنا الفينيقين صروف الدهر فانتفرضوا واندثرت معهم مدنيتهم الغريبة وصنائعهم العجيبة وباتت مدينتهم صور القديمة التي كانت محط رحال تجارة الشرق والغرب وام المدائن في العالم المعمور في ايامهم عظمة وثروة وقوة اثارًا طوامس واطلالاً دوارس

ماتوا حسب سنة القضاء وشريعة هذا الكيان ولكن مزاياهم الغراء ومآثرهم الشماء لم تمت. فقد كانوا مثال النشاط والاقدام والهمة وافادوا العالم في ايامهم فوائد كثيرة ورث بعضها اهل العصور التي جاءت بعدهم

ولم يبقَ لنا نحن السوريين شيء يذكر من تلك الفوائد حتى ان آثار بلادهم التي تدل على ما بلغوهُ من درجات المجد والسعد قليلة جدًّا بالنسبة الى آثار المصريين القدماء التي ظهرت بكثرة في هذا العصر. غير انهم خلفوا لنا مزية لا تقدر فوائدها وهي الميل الى الاسفار وركوب البحار لاكتساب المال واكثار المنافع. فقد اموا في ايامهم قارات اوربا وافريقية واسيا وابتنوا فيها المدائن التجارية الكبيرة وبثوا روح المدنية. ولو كان افتتاح كولمبس للعالم الجديد في ايامهم لكانوا اول من قصدوهُ وحرثوا اراضيهُ واستثمروا خيراتهِ واستخرجوا معادنهُ وعمروا مدائنهُ ونظموا هيئتهُ الاجتماعية

عرف عامة السوريين منذ نحو ثلاثين سنة أن في الارض بلادًا جديدة تسمى اميركا، وهذه البلاد جزيلة المال عظيمة الاتساع طيبة الهواء وان تحصيل الثروة فيها من الحقّق وان حكوماتها عادلة والامن سائد كل انحائها وان مئات الالوف هاجروا اليها من انكلترا وفرنسا والمانيا والنمسا وايطاليا واليونان وسواها وانهم جمعوا منها الاموال الطائلة وامتلكوا فيها الاراضي الواسعة وان معظمهم جعلوها وطنًا لهم واحوالهم فيها من زراعة وصناعة وتجارة على جانب عظيم من التقدم

فهذه الانباء ولّدت روحًا جديدة في الذين بلغتهم فطمحت ابصارهم الى مشاهدة تلك البلاد الجديدة بجاوُها. ولما تحققوا بالخبر ما سمعوهُ بالخبر ارسلوا يطلبون عيالهم وانسباءهم واصحابهم فاتوا اميركا وجمعوا الاموال الطائلة فاستفادوا وافادوا

ومن نحو ربع قرن حتى يومنا هذا اصبح طريق اميركا طريقهم المطروق وسكتهم المسلوكة فكثر عددهم فيها وانتشروا في ولاياتها يفتحون ابواب الرزق ويكتسبون المال. فمنهم من

جعل هذه البلاد وطناً له ومنهم من رجع الى سورية فحسَّن املاكه بما اخذه من المال او ابتاع بها املاكاً جديدة او نفقت دراهمه لضيق ابواب المعاش في سورية فعاد الى اميركا ثانية

وقدوم السوريين الى العالم الجديد في هذه السنين الاخيرة امر غريب فلا ترى سفينة قادمة الى هذه البلاد الاَّ وفيها عدد كبير من مهاجريهم . اما عدد السوريين في المهاجر كلها فلم يعرف بعد . فمنهم من يقول انهم بلغوا ٢٥٠٠٠٠ نسمة ومنهم من يقول انهم اكثر ومنهم من يقول انهم اقل . ويقدَّر ان في الولايات المتحدة وحدها نحو ستين الفاً منهم . ولقد سألت حضرة الكاتب الاديب نعوم افندي مكرزل صاحب جريدة الهدى عن عدد السوريين في المهاجر كلها فاجابني ان عدد السوريين المهاجرين مئتان وخمسون الفاً ٦٠ الفاً في الولايات المتحدة و ٥٠ الفاً في اميركا الجنوبية و ٢٥ الفاً في اميركا المتوسطة و ١٠ الاف في اوستراليا وبعض الجزائر والياقون في افريقية والهند والفلبين

ولما كان كثيرون من مطالعي هذه المجلة يودُّون الوقوف على احوال السوريين في العالم الجديد وكان حديث السواد الاعظم من ابناء سورية في هذه الايام عن هذه الديار العامرة رأيت ان اكتب كلمة في هذا الموضوع وقد قسمت الكلام الى خمسة ابحاث وخاتمة

البحث الاول في اعمال السوريين واشغالهم في الولايات المتحدة

فمنهم باعة الكشة وهم العدد الاكبر من المهاجرين الى هذه الديار والاكثر ثروة والاوسع تجارة . وحرفتهم شاقة فهم اليوم في هذه الولاية وغداً في ولاية اخرى . وتجارتهم محصورة مع جمهور الفلاحين والمزارعين وقد امتازوا باجتهادهم واقتصادهم ولكن استعمال بعض سفلتهم للخداع والغش في معاملتهم نفَّر جمهور الاميركيين منهم فوقفت حركة اعمالهم عما كانت عليه قبلاً

ولما كثر عدد المهاجرين واختبروا البلاد وسكانها وعرفوا اذواقهم وعوائدهم واخلاقهم ومتاجرهم وصنائعهم اقتصروا على الاتجار بالاقمشة الرائجة عند الاميركان كالملبوسات الحريرية والصوفية والكتانية وما اشبه فاحسنوا وتضاعفت ارباحهم

وربح بائع الكشة يقدر سنوياً بنحو ٥٠٠ ريال واذا كان عدد الباعة خمسين الفاً كما يقدر فيكون ربحهم السنوي خمسة وعشرين مليون ريال او خمسة ملايين ليرة مصرية . وقد قلَّ عدد الباعة في هذه الايام الاخيرة بسبب كره الاميركي لهذه الحرفة فتحولت انظار كثيرين منهم الى مجاراة الاميركان في اعمالهم

ومنهم باعة الحرير وهم فئة الشبان والشابات السوريين المهذبين الذين لم يرتضوا بمعيشة صاحب

الكشة والتجول في البراري والقفار ومقاساة آلام الحرّ والبرد الوانًا فشرعوا في الاتجار بالبضائع الحريرية النفيسة والمطرزات الشرقية مع اغنياء هذه البلاد واكابرها . وباعة الحرير يختلفون عن باعة الكشة في المعيشة وهم اول السوريين الذين تملكت فيهم العوائد الاميركية واصبحوا في معيشتهم لا يختلفون كثيرًا عن سكان البلاد الاصليين . وهم يكسبون من المال اكثر مما يكسب باعة الكشة . ولكن نظرًا لنفقاتهم الباهظة ليس لديهم ما لدى صاحب الكشة من الثروة

ومنهم عمال المعامل والطرق والاسواق والمتاجر وهم قليلون لا يرجى منهم نفع مادي ولا ادبي لان دخلهم محصور ولا يكاد يكفي نفقات معيشتهم

ومنهم الزراع وهم قلالٌ جدًّا بالنسبة الى عدد المهاجرين من السوريين على ان هذه المهنة الشريفة افضل كثيرًا لمستقبل السوري من غيرها . وقد اعطت الحكومة بعض الاراضي مجانًا لمن يعمل في الفلاحة والزراعة وعينت لكل منهم ١٦٠ فدانًا تملكهُ اياها شرعيًّا بعد مرور خمسة اعوام عليها

ومنهم تجار باعة الكشة او الذين يقدمون البضائع اللازمة لباعة الكشة وهم ذوو ثروة عظيمة وتجارة واسعة ولهم سمعة حسنة بين التجار الاميركيين . ونجاحهم موقوف على نجاح بائع الكشة . فاذا دارت حركة تجارة هذا دارت الحركة في شارع واشنطون في نيويورك حيث العدد الاكبر منهم كما ان منهم كثيرين في سائر الولايات المتحدة

ومنهم تجار باعة الحرير او الذين يقدمون البضائع اللازمة لباعة الحرير وهم ارباب ثروة ومقدرة على التجارة يستجلبون انفس بضائع الشرق وافخر بضائع فرنسا وايطاليا والمانيا وسائر ممالك اوربا وكلهم في مدينة نيويورك ثاني مدائن العالم في عدد السكان والحضارة والعمران

ولقد نشرت بعض الجرائد الاميركية فصولاً تثني فيها على همة تجار السوريين ونشاطهم وتفننهم في اساليب التجارة . ولا غروَ فان بيننا منهم من يفتخر بذكرهم ويعطر اسم الجالية السورية

ومنهم تجار الرياش الشرقية عمومًا والسجّاد التركي والعجمي خصوصًا . وهم يزاحمون الارمن على هذه التجارة المهمة . اما محلاتهم التجارية فهي في المدائن التي يؤمها اغنياء الاميركان في فصلي الصيف والشتاء ترويحًا للنفس

قال لي احد المتعاطين لهذه التجارة من شبابنا الادباء ان هذه المهنة اشرف المهن واجزلها ربحًا فان تجارتها محصورة مع اكابر الاميركان واغنيائهم وارباحها طائلة وانهُ كلما زاد رأس مال صاحبها كثرت ارباحهُ

ومنهم ارباب الجرائد والاطباء. وجرائدنا العربية اليوم في الولايات المتحدة ثماني جرائد وهي كوكب اميركا اقدم جريدة عربية في العالم الجديد والهدى ومرآة الغرب والصخرة والمحيط والاقبال والراوي والمهجر. وهي تدخل الممالك العثمانية ما عدا الثلاث الاولى لانها حرة

ولقد كانت حالة صحافتنا فيما مضى غير راضية بسبب كثرة مناظراتها التي لا طائل تحتها. واما اليوم فمجالتها سارة واقوالها مفيدة. وقد انشئت عدة جرائد غير التي ذكرت الاَّ انها ماتت لقلة مكاسبها وفي نية بعض ادبائنا انشاء جرائد جديدة

وبين نزالتنا جماعة من ارباب الاقلام لم يرتضوا بخدمة الادب لان بضاعة القلم مازالت كاسدة عندنا كما هي الحال في سورية. ولذا تراهم يفضلون المراكز المادية على المراكز الادبية فصار اكثرهم تجاراً وكانت النتيجة حرمان الامة السورية من علومهم ومعارفهم

البحث الثاني في الداعي الى المهاجرة

اسباب المهاجرة في هذه السنين الاخيرة هي اولاً ضيق ابواب المعاش في سورية. وثانياً فساد بعض عمّال الدولة العثمانية ومأموريها فما احرى حكومتنا ان تسد الخلل وتحسن الشؤون والاحوال

هذا شمال بغداد المهجور الفسيح الارجاء. وهذه بادية الشام واراضي باشان. وهذه سهول موآب وادوم الوسيعة. فلو ساد في اطرافها الامن ووجهت الدولة اليها انظارها ووهبتها لفلاحي البلاد ليحرثوها ويزرعوها ويستثمروها لجادت عليهم بالخيرات الكثيرة

البحث الثالث في معيشة السوريين وعاداتهم

تخلق السوريون ولا سيما ادباؤهم بكثير من اخلاق الاميركيين في وقت وجيز من الزمن واقتبسوا عاداتهم ولكنهم ظلوا محافظين على عاداتهم ومعيشتهم الشرقية ايضاً. فهم مع الاميركي اميركيون ومع الشرقي شرقيون. فاذا زارهم اميركي عاملوهُ كما يعاملهُ ابن بلادهِ وما زار اميركي سورياً الاَّ خرج مادحاً ما لقيهُ من حسن ضيافتهِ ورقة اخلاقهِ ومتعجباً كيف ان هذا الشرقي الحديث العهد في بلادهِ جاراهُ في مصطلحاتهِ وباراهُ في عوائدهِ وكاد يسبقهُ في اتقانها

وقد افتتح السوريون مطاعم فيها من جميع المأكولات والمشروبات السورية. فاذا جاء قادم من الشرق ومرَّ على تلك المطاعم في شارع وشنطن في نيويورك خال نفسهُ في سورية

اما الالقاب فلا يزالون محافظين عليها ايضاً. فكل من الكاتب والشاعر والاديب

والطبيب والوجيه والرئيس والزعيم يلقب بالافندي والشيخ ما زال شيخًا والاميرما برح اميرًا اما الذين ولدوا في هذه البلاد الجديدة وشبوا فيها من الشعب السوري فلم يعودوا يرتضون بمصطلحات بلادهم وعوائدهم بل اصبحوا يفضلون المعاشرة والمخالطة مع جمهور الاميركيين على معاشرة السوريين حتى ان معدهم لم تعد تقبل المآكل السورية

البحث الرابع في ما افادت مهاجرة السوريين الى العالم الجديد

لا مشاحة ان فوائد الاغتراب محققة ومعلومة ولا سيما اذا كان الى بلاد زاهية بالتمدن وزاهرة بالحضارة والعمران . فلولا الاغتراب لما بلغ عصرنا ما بلغهُ من التقدم والارتقاء . ولولا اختلاط الشعوب المنحطة بالشعوب الراقية لظل عصرنا معدودًا من العصور المظلمة بالجهالة والتقهقر . فاغتراب السوريين الى العالم الجديدة افادهم فوائد كثيرة اليك بعضها

الفائدة الاولى الثروة : كانت ثروة سورية قبل افتتاح طريق اميركا قليلة بالنظر الى حاجة عامة الامة فتغيرت الحال كثيرًا الآن . هذا جبل كسروان فلولا اميركا لظلت مساكنهُ اكواخًا واهلوهُ يقاسون عذاب الفقر والفاقة . وهذا جبل لبنان فلولا اميركا لما كثرت دورهُ الفخيمة وتحسنت املاكهُ واراضيهِ وتساوى فقيرهُ بغنيهِ . وهذا وادي التيم فلولا اميركا لبقي فقيرهُ مدوسًا فقد كان صاحب المئات في تلك النواحي يعد من اكابر الاغنياء فاصبح اليوم محسوبًا من اصاغر الفقراء وكان ربا المئة غرش هناك ثلاثين غرشًا في السنة واكثر فامسى الآن خمسة غروش للتجار وثماني او تسعة لبقية الناس

وهكذا قل في جبل القلمون وغيرهِ من الكور والقصبات والضياع والمزارع التي جاء بعض اهاليها الى اميركا . فان حالتهم كانت كحالة اخوانهم في جبلي لبنان وكسروان وفي وادي التيم . واما اليوم فقد تحسنت شؤونهم وتوفرت اموالهم

وارتفاع اسعار الاراضي في سورية بعد هذه المهاجرة وكثرة المال فيها امران يدلان على ان اميركا اكثرت ثروة القطر السوري الى حدٍّ لم يحلم بهِ احد من اجدادنا . ومن اين رأس مال تجارة السوريين في العالم الجديد بل من اين ملايين الريالات التي يملكونها اليوم

الفائدة الثانية الاستقلال : سنة ١٧٧٦ اشترى الاميركيون استقلالهم بدمائهم التي جرت كالانهار بعد معارك شهيرة وفي مدة ١٢٩ سنة اصبحوا في مقدمة العالم بالاختراعات والصنائع والفنون والعلوم والقوة والمال والنفوذ . وكل هذا التقدم السريع الغريب هو ثمرة ذلك الاستقلال والسوريون المهاجرون الى بلاد الاميركيين تمتعوا بهذا الاستقلال ولكن بلا سفك دماء

بن بالاختلاط والاقتداء . فصاروا يقاومون كل سلطة مستبدة باقوالهم وافكارهم ويقاتلون كل ظالم بكتاباتهم واموالهم . ولقد ظهرت فوائد الاستقلال بين هذا الشعب المهاجر فكبرت نفسهُ وسمت مطالبهُ وتشددت عزائمهُ وحلقت ابصارهُ الى طلب المعالي

الفائدة الثالثة النشاط : ان السوري نشيط وقد وصف بذلك ولكن حالة بلادهِ الداخلية افقدتهُ نشاطهُ لان كل سبب من اسباب العمران فيها على جانب من الانحطاط . ولما هاجر الى بلاد التمدن ورأى فيها ميادين السباق عادت اليهِ روح النشاط فقرنهُ بنشاط الاميركي فصار يغالب العالم بهمة شماء فاستفاد وتقدم واخذ في مسابقة الاميركيين انفسهم

الفائدة الرابعة ان كل عمل محلل شريف : من اقبح العوائد في القطر السوري ان ليس كل عمل محلل شريف فالفلاح والصانع والعامل والخادم ليسوا شرفاء عند السوري المدعي التمدن وانما العمل الشريف عندهُ هو تعاطي خدمة الحكومة او القلم او العلم لاغير . فكل من هؤلاء اذا قيض لهُ ان يكون مأموراً عند الدولة ثم عزل فلا يرجع الى مهنتهِ ولو اضطرهُ افلالهُ الى التسوّل ظنًّا منهُ ان العمل عار عليهِ . والوجيه او المثري او الكبير الذي ساعدتهُ الايام ليكون كبيرًا بوجاهتهِ او بمالهِ او بنفوذهِ او برجالهِ اذا عاندهُ التوفيق وسطا عليهِ الدهر فلا يعود الى تعاطي تلك الحرف زعمًا بان هذا التنازل يحط من قدرهِ ومقامهِ وشرفهِ

واي طالب علم في سورية يعمل في الحصاد وما اشبه في ايام عطلة المدرسة كما يفعل طلاَّب العلم في العالم الجديد فان الطالب الاميركي يقضي ايام العطلة في العمل إما في الحصاد او في المعامل او في الطرق او في المطاعم او في الاستخدام معتقدًا ان "كل عمل محلل شريف" وانهُ ما من عار على من يعمل بل على من لا يعمل

وقد اقبلت المواسم في العام الماضي في بعض الولايات المتحدة الجنوبية فاضطر الفلاحون والمزارعون الى فعلة كثار لحصاد مزروعاتهم فاذاعوا انهم يدفعون اجرة اليوم من ريالين الى ثلاثة ريالات لكل من يريد العمل عندهم . ولما بلغ الخبر كثيرين من طلبة الكليات الخارجين الى العطلة المدرسية ذهب عدد عظيم منهم للعمل في الحقول فعملوا بنشاط وحصلوا نصيبهم من المال غير متوهمين ان في العمل منقصة او عارًا او اهانة كما يتوهم ابناء سورية . وقد ذكرت ذلك جريدة الهدى في نيويورك في وقتهِ . فالسوريون المهاجرون استفادوا من الاميركيين هذه الفائدة العظيمة ولذا نراهم يتقلبون في الاعمال كلما سنحت الفرصة

البحث الخامس في مستقبل السوريين في العالم الجديد

لا يمكننا الجزم بما يكون مستقبل السوريين في هذه البلاد تمامًا ولكننا نقول بالاجمال

انهُ سيكون مجيداً للاسباب الآتية وهي

اولاً . اتساع ثروتهم

ثانياً . تقدم تجارتهم وامتدادها واهتمامهم المتواصل بتحسينها ومجاراة الاميركيين

ثالثاً . نشاطهم في اعمالهم كما سبق الكلام عنهُ في البحث الرابع من هذه المقالة

رابعاً . جمعياتهم المتنوعة الآيلة لخيرهم الادبي والمادي والاخذة بالتقدم والتحسن والامتداد الى كل مدينة وجد فيها سوريون من مدن هذه الولايات

خامساً . اهتمامهم بتهذيب ابنائهم رجال الاستقبال الذين يتوقف عليهم حسن مستقبلهم وازدياد تقدمهم

سادساً . انتشار جرائدهم والاهتمام بتحسينها وتقدمها واكثارها ونشرها للمواضيع المفيدة

سابعاً . انهم في الولايات المتحدة العظيمة التي سبقت العالم او كادت في كل فن ومشروع مدني وعمراني ولهم مجال واسع للاقتداء والتقليد

الخاتمة

لما كانت العلاقة شديدة بين السوريين المهاجرين او المتغربين الى اميركا فقد رأيت من الضروري ان اختم سطوري بنصائح لابناء وطني السوري العزيز

النصيحة الاولى . على مَن يريد المجيء الى الولايات المتحدة ان يكون صحيح الجسم والعيون . فان كان ذا مرضٍ معديٍ وكانت عيناهُ ضعيفتين فلا يدخل هذه البلاد

الثانية . ان يحضر معهُ مقداراً قليلاً من المال ينفقهُ قبل شروعهِ في العمل

الثالثة . ان يكون اقرارهُ في ادارة المهاجرة في نيويورك كاقرارهِ في مرسيليا بالحرف الواحد وان يكون حسن الملابس نظيفها ما امكن اذا وقف امام هيئة الادارة المذكورة . والاقرار هو سؤالات تطرح على القادم المهاجر في الكبانية في مرسيليا حيث يقطع جواز السفر ثم في ادارة المهاجرة المشار اليها . والسؤالات هي كما يأتي

(١) الى اين تقصد الذهاب

(٢) ما هي صنعتك وماذا تقصد ان يكون شغلك في الولايات المتحدة

(٣) هل لك اقارب هناك واذا كان لك فما هو عنوانهم

(٤) كم هي كمية الدراهم التي تزيد معك عن ثمن جواز سفرك

(٥) هل انت اعزب او متزوج فاذا كان متزوجاً وترك امرأتهُ واولادهُ فالكبانية

تصحهُ ان يكون اقرارهُ انهُ اعزب لان ادارة المهاجرة لا تسمح لهُ بالدخول اذا كان متزوجًا وقد ترك عائلتهُ في بلاد بعيدة

الرابعة . ان كل امراة غير مصحوبة بعلها او اخيها لا تدخل وكل ابنة غير مصحوبة بابيها او اخيها لا تدخل ايضًا

الخامسة . ان لا يحسب ان المال في اميركا ملقى في طرقها وشوارعها فان المال يتطلب مشقات ومتاعب كثيرة لا يستطيع تحملها الاَّ الذي عضهُ الفقر وتعود الدأب والتعب . فكل مَن تعود الترف والراحة الجسديَّة في بلادهِ وكان فقيرًا فننصح لهُ ان لا يأتي اميركا لان العاقبة وخيمة والندم لا يجديهِ نفعًا

السادسة . ان يحسب انهُ اذا كان دخلهُ الشهري في سوريا ٢٠٠ غرش فهذه القيمة افضل من ٦٠٠ غرش في الولايات المتحدة لان ما يكفيهِ عامًا في بلادهِ نفقةً لا يكفيهِ في اميركا ثلاثة شهور

السابعة . ان كل من يجهل لغة اميركا وكان بلا رأس مال لا يستطيع العمل بغير الكشة وقد سبق الكلام عن اشكال الالعاب التي يقاسيها صاحب هذه الحرفة

الثامنة . ان مخاطر اميركا كثيرة . فان صواعقها وزوابعها هائلة وكثيرًا ما دمرت الدور والمساكن واقتلعت الاغراس وذهبت بالارواح وقطرُها الحديدية وسائر الآلات البخارية المتنوعة والمتوفرة في الولايات المتحدة طالما قطعت الايدي والارجل وهشمت الاعضاء واماتت العباد . وكثرة الامطار طالما فعلت فعل الزوابع والصواعق والقطر الحديدية . فقد هطلت اياماً في هذا العام فسببت طوفانًا في بعض بلدان الولايات فكانت النتيجة موت الوف من الناس غرقًا وخسارة ملايين الريالات

والتقلبات الجوية في هذه البلاد ليس ضررها باقل من اضرار المخاطر المذكورة آنفًا . فكثيرًا ما يتغير الطقس في النهار من حرٍّ شديد الى برد قارس فيسبب هذا التغيُّر السريع علاَّ صدريَّة واضرارًا صحية مختلفة في جسم السوري الذي تعود اعتدال اقليم سورية ونقاوة هوائها وترتيب فصولها وطيب مائها

التاسعة . انهُ اذا تحسنت شؤون سورية الزراعية والصناعية والتجارية والادارية ولو قليلاً فهي افضل بلاد للاقامة فيها

يوسف جرجس زخم الريشاني

الولايات المتحدة

تاريخ محمد علي باشا

حروب ابرهيم باشا

ذكرنا في الجزء الماضي استيلاء ابرهيم باشا على قلعة عكاء وانهزام الجيوش العثمانية امامهُ في واقعة حمص نقلاً عن الدكتور ميخائيل مشاقه الذي رأى تلك الواقعة مرأى العين وكان لهُ شأن فيها . وها نحن مثبتون اخبار ابرهيم باشا نقلاً عنهُ قال :—

اقام ابرهيم باشا في حمص يوماً واحداً . ويوم الاثنين عاشر صفر سنة ١٢٤٨ خرج بالعساكر في طريق حلب وقبلما وصل اليها التقى بحسين باشا قادماً لمقاتلتهِ ومعهُ اربعون الفاً من العساكر فانكسر حسين باشا وبقي ابرهيم باشا سائراً الى حلب ففتحت لهُ ابوابها فرتَّب امورها وارسل والياً الى ايالة اورفه وسار نحو بلاد الترك واستولى على ايالة ادنه بغير حرب لان البلاد كلها خافتهُ . وسار الى قونية فهرب محافظوها ودخلها بعسكرهِ ولم يكن قد بقي معهُ سوى اثني عشر الفاً لانهُ ترك بعضهم للمحافظة على البلاد التي فتحها وفتك الهواء الاصفر بالبعض الآخر . وبلغهُ حينئذٍ ان الصدر الاعظم وصل الى قرب قونية ومعهُ مئة وخمسون الفاً من الجنود بالمدافع والمهمات الحربية الكثيرة فخرج اليهِ بعساكرهِ القليلة وهي بقيادة سليمان باشا الفرنسوي فالتقى الجيشان ونشب القتال وكان الصدر الاعظم راكباً جوادهُ يجول بين العساكر يحرضهم ويشجعهم وكان الضباب كثيفاً والدخان منتشراً يعمي الابصار ورأى ابرهيم باشا كثرة عدد خصومهِ وعدد رجالهِ فيئس من النجاة ووقف لا يدري ماذا يعمل ومرَّ بهِ سليمان باشا الفرنسوي وهو على تلك الحال فقال لهُ اراك تجهل ابواب الحرب ولا تفرق بين الغالب والمغلوب فان نظام خصمنا قد اختلَّ وستدور الدائرة عليهِ قريباً واما نحن فلم يزل ترتيب جنودنا على ما يرام فتشجع ولا تخف لاني اعتقد ان عسكرنا هذا القليل يكفي لقهر خصمنا ولو كان ضعفي ما هو

فاشتدَّت عزيمة ابرهيم باشا وزاد تحريضهُ لرجالهِ . وبقي الصدر الاعظم يجول بين عساكرهِ في مقدمتهم ولشدة الضباب دخل بين الجنود المصرية وهو لا يدري فاحاطوا بهِ وقبضوا عليهِ واتوا بهِ الى ابرهيم باشا فقام للقائهِ واستقبلهُ بالاحترام اللائق برتبتهِ ونودي في الجيوش التركية ان الصدر الاعظم أخذ اسيراً فاختلَّ نظامهم وارتكنوا الى الهزيمة تاركين ما معهم من ميرة وذخيرة للمصريين

اما ابرهيم باشا فسار ومعهُ الصدر الاعظم الى قونية ثم بعث بهِ الى الاسكندرية وارسل بشائر انتصارهِ الى جميع البلاد الشامية وبلاد الترك التي فتحها . ولما استراح عسكرهُ نهض بهِ قاصداً ايالة كوتاهية فهرب حكامها من وجههِ ولم يبقَ من يعارضهُ لان الرعب ملأ القلوب فدخل كوتاهية من غير مقاومة وجعل فرسان المنادي يسيرون الى مدينة ازمير فلا يجدون من يعارضهم مع انها كانت لا تزال في حكم الدولة

وحينئذٍ بعث سفير انكلترا وسفير فرنسا الى ابرهيم باشا ليقف عن التقدم حتى يأتيهُ امر من والدهِ لان الدول الاوربية كانت قد توسطت في ازالة الخلاف من بينهِ وبين الباب العالي فوقف الى ان قرَّ القرار على ان يبقى لمحمد علي ايالات صيدا وطرابلس والشام وحلب وادنه ويعود ابرهيم باشا بجنودهِ الى سورية

وحضر شريف باشا الى دمشق حكمداراً على بلاد الشام من حلب الى غزة وهو من اقرباء محمد علي وكان على جانب كبير من الذكاء والانصاف الاَّ انهُ كان صارماً جدًّا لا يشفق على مذنب ولا يرحم مسترحماً فاماتَ كثيرين بضرب السياط فالذي يستحق ذنبهُ الضرب عشرين سوطاً يضربهُ خمس مئة سوط وكان عندهُ للضرب رجل مصري اسمهُ علي يفتخر بانهُ يجلد الانسان على رجليهِ اربع جلدات فيخرج الدم منهما وقد شاهدتهُ يجلد انساناً أُغمي عليهِ والدم ينزف من رجليهِ . لكن شريف باشا كان عادلاً صادقاً في كلامهِ ومواعيدهِ فرتب الولاية والمجالس على احسن حال وجعل لها مجلس استئناف في دمشق لاستئناف الاحكام واطلق الحرية التامة للقضاة ليحكموا كما يتراءى لهم وترفع الاحكام الى حنا بك بحري فينظر فيها ويعلق عليها ما يبدو لهُ من الملاحظات ويردها الى المجلس فاذا رأى اعضاؤهُ ان يجري بك مصيب عملوا برأيهِ والاَّ دارت المناقشة بينهم وبينهُ الى ان يتجلى الحق ويعمل بهِ

وفرض ابرهيم باشا على الرعايا مالاً سنوياً سُمِّي اعانةً وهو يختلف حسب غنى الانسان وفقرهِ من خمس مئة غرش في السنة الى خمسة عشر غرشاً حتى يكون المتوسط مئة غرش فاكثر وكان الريال العمود حينئذٍ بخمسة عشر غرشاً فاستثقل الناس ذلك من مسلمين ونصارى ولا سيما سكان القرى الذين يدفعون الاموال عن اراضيهم واغراسهم ومواشيهم ونحلهم وعسلهم وزاد على النصارى منهم مال جزية رقابهم كاهالي حاصبيا فوقع الامير سعد الدين في ارتباك عظيم لانهُ لا يستطيع ان يخالف اولياء الامر ولا يرى ان الرعايا قادرون على دفع ما فُرض عليهم فامرني بالنزول الى دمشق ومعي ورق ابيض عليهِ ختمهُ لكي اكتب عليهِ باسمهِ ما اراهُ لازماً فاتيت دمشق وكان كاتب مجلس الشورى يميل اليَّ وبيننا قرابة

وصداقة فقدمت كتاباً من الامير سعد الدين الى شريف باشا يقول فيه انه ارسلني وكيلاً عنهُ لترتيب اعانة بلاد حاصبيا في مجلس الشورى . فاحال شريف باشا هذا الكتاب الى المجلس فاخذتهُ الى الكاتب فوعدني بانجاز طلبي حالاً فقلت لهُ ارجو ان يؤخر الى ما بعد غيره وجعلت احرك وكلاء البلاد للشكوى من ثقل هذه الاعانة فكتبوا يتشكون ويسترحمون

ونجح المعلم بطرس كرامة في تنزيل قيمة الاعانة عن اهالي لبنان الى خمسين غرشاً وجعل عدد الرجال المكلفين اربعين الفاً لا غير مستثنياً الامراء والمشايخ وائمة الدين من مشايخ المسلمين وخطبائهم ومطارنة النصارى وخوارنتهم ورهبانهم ومشايخ العقل عند الدروز وخلواتيتهم وخطبائهم فكانت جملة الاعانة المفروضة على اهالي لبنان اربعة آلاف كيس وفرضت الاعانات على سائر البلاد على هذه النسبة وكان البقاع اقلها وهو ٣٥ غرشاً على المكلَّف وحينئذٍ اجتهدت في تقليل اعانة حاصبيا فجعلتها ٣٠ غرشاً على المكلف واما دمشق فلم يحسن اهاليها التصرُّف في ترتيب فئتها فجعلت ١١٠ غروش وبلغ المفروض عليها اكثر من اربعة آلاف كيس سنوياً . واكثر اهاليها من الصنَّاع الفقراء فوقع عليهم ضنك شديد لان الاغنياء الذين فُرض عليهم مبلغ كبير قليلون جداً

ثم شرعت الحكومة المصرية تمنع الامراء والمشايخ من الاستقلال في حكم بلادهم وجعلتهم مأمورين من قبلها برواتب معلومة لا تساوي عشر ما كانوا يجمعونهُ من بلادهم ثم صارت تعزلهم منها وتولي غيرهم لكن الامير بشيراً استصدر امراً من محمد علي باشا الى شريف باشا ليتركهُ مستقلاً في امارة لبنان فاستقل شريف باشا ذلك ولبث يتحين الفرص لنزع هذا الامتياز من الامير بشير . فنزع اولاً استقلال الامراء الحرافشة في بلاد بعلبك ورتَّب لهم معلشاً وفعل مثل ذلك بامراء حاصبيا وراشيا وذلك سنة ١٢٥٠ فصممتُ حينئذٍ على سكن دمشق فحضرت اليها وسكنتُ فيها وكنت الاحظ اشغال الامير سعد الدين عند الحكومة وفي مجلس الشورى وعندي ختمهُ على ورق ابيض

ولما تمادى المصريون في تغيير عادات العشائر وفرْض الاموال الطائلة على الاهالي نفرت القلوب منهم وصار سكان البلاد يتمنون رجوع حكم الاتراك وجاهر بعضهم بالعصيان فاضطر المصريون ان يكثروا عساكرهم لمنع الثورات واول من عصا طائفة النصيرية في جبال اللاذقية فأُرسلت الجنود من لبنان وحاصبيا وراشيا لتأديبهم فقهرتهم اولاً ودخلت جبالهم وامتلكت اماكن كثيرة فيها ثم تغلبوا عليها وقتلوا كثيرين منها فعادت الى اللاذقية لكن جاءتهم نجدات قوية فاخمدوا ثورة الثائرين

ثم شرعت الحكومة المصرية في اخذ العساكر من الاهالي وكانت لا تراعي نظاماً مخصوصاً ولا تجنّد الجنود الى اجل معين وذلك جعل الشبان يهربون من وجهها الاّ مسلي لبنان ودروزه فان الامير بشيراً امر ان لا يجنّد احد منهم الاّ باختياره فلم يتزح منهم احد واما في المدن الكبيرة كدمشق فان الجنود كانت تجول في الشوارع وتقبض على كل الشبان الذين تجدهم وكل من وُجد منهم صحيح الجسم ادخلوهُ العسكرية ولو كان وحيداً لوالديه بل ولو كان لهُ اخ في العسكرية ولم يبقَ في بيت ايدٍ غيرهُ

واستثقل اهالي نابلس وطأة الحكومة فجاهروا بالعصيان وهم ابطال مجربون فقام اليهم ابرهيم باشا بعساكره فحاربوهُ وضايقوهُ وكادوا يقبضون عليهِ وبلغ خبرهُ اباهُ في مصر فخضر بنفسهِ الى يافا لكن ابرهيم باشا نجا منهم ثم اغراهم بالطاعة وقبض على كبرائهم وقطع رؤوسهم

وسنة ١٢٥٣ عصى دروز جبل حوران بسبب المغارم الكثيرة فبعث شريف باشا ٤٥٠ من فرسان الهوارة عليهم ظانّاً انهم يكفون لتأديبهم لكنهم بيّتوا الهوارة وذبحوهم الاّ القليل منهم وغنموا خيلهم واسلحتهم . وطار الخبر الى شريف باشا فارسل عليهم ستة آلاف من الفرسان والمشاة . اما الدروز فانهم تحالفوا معرب السلوط ولجأوا الى اللجاة بعيالهم وهي عسرة المسالك جدًّا طولها عشرون ميلاً وعرضها خمسة عشر ميلاً كثيرة الصخور والشقوق يتعذر على الغريب السلوك فيها فدارت الدائرة على الجنود المصرية ولاسيما بعد ان جاء الشيخ شبلي العريان لمساعدة الدروز وكانت الدواب ترسل من دمشق بالميرة وتعود بالجرحى حتى دعت الحال الى مجيء الدكتور كلوت بك الفرنسوي من مصر ومعهُ بعض الاطباء لكثرة الجرحى

واخيراً قام شريف باشا وذهبَ الى اللجاة بنفسهِ ومعهُ جيش كبير فانهزم الدروز من امامهِ اولاً حتى اذا توسط اللجاة في مكان عسر المسالك عادوا عليهِ وقام الذين كانوا كامنين لهُ وراء الصخور واطبقوا على عسكرهِ وذبحوهُ ذبح الغنم وفاز شريف باشا بالفرار ولكن قتل اكثر الذين كانوا معهُ واستولى الدروز على اسلحتهم وامتعتهم واشتدت عزائم الدروز وكثرت جموعهم بمن كان ينضم اليهم وصاروا يرسلون سرية وراء سرية لتقبض على الميرة الواردة الى الجيش المصري بطريق عكاء

وبلغ ابرهيم باشا ما حلّ بجنودهِ من الدروز وكان في حلب فاتى دمشق وجهز جيشاً كبيراً وسار لقتالهم فلم ينل منهم مأربًا لان جنودهُ كانوا يخافونهم فانتقل الى سهل تسهل الحركة فيهِ على الجيوش المنظمة وبعث فرسان الاكراد امامهُ وسار في اثرهم ببقية الجيش حتى اذا بلغ الاكراد ارض دامه اطبق عليهم الدروز وكسروهم شر كسرة فدافع عنهم ابرهيم باشا بالجنود النظامية

وكان الرعب متمكناً من قلوب جنوده كما تقدم فانهزموا امام الدروز وجدّ الدروز وراءهم وسدّوا عليهم الطرق ولم يتمكن ابرهيم باشا من الخروج من اللجاة الاّ بعد عناء شديد وخسارة كبيرة فعمد الى منع الماء عنهم وكانوا يشربون من مياه في لحف اللجاة فعزم على دس السم فيها وطلب من كلوت بك ان يذيب السليماني حتى يصبهُ هم في الماء فابى كلوت بك ان يفعل ما امرهُ بهِ قائلاً ان صناعتي لاتجيز لي ذلك لا سيما وان الذين يشربون من الماء ليسوا الرجال فقط بل النساء والاطفال ايضاً . فقال لهُ ابرهيم باشا اني لا اخدعهم بل اخبرهم بما فعلت فاصرَّ كلوت بك على انهُ لايفعل ذلك. وكان في العسكر المصري غير كلوت بك من العارفين بفن الكيمياء فالزمهم ابرهيم باشا باذابة السليماني واشترى كل ما وجدهُ منهُ في اسواق دمشق فاذابوهُ وصبوهُ في الماء الذي يستقي منهُ الدروز فمات بعضهم عطشاً واضطروا ان يتركوا اللجاة ويمضوا الى بلاد راشيا وعرقوب حاصبيا . وكان في راشيا طابور من العسكر المصري في سراي الامير افندي فحاصروهُ واضطروهُ الى التسليم والرجوع الى دمشق ثم تبعوهُ في الطريق وذبحوهُ عن آخرهِ وبلغ ابرهيم باشا ذلك فكتب الى الامير بشير ان يرسل ابنهُ الامير خليلاً الى حاصبيا ومعهُ ثلاثة آلاف من اللبنانيين فرساناً ومشاة ونهض هو من دمشق بالعساكر قاصداً راشيا عن طريق الديماس حتى اذا بلغ وادي بكّا التقى بالشيخ ناصر الدين العائد قادماً من لبنان بالف رجل من دروزهِ لمساعدة الدروز في راشيا فنشب القتال بين الفريقين وكان الشيخ ناصر الدين من الابطال المعدودين ولكن اصيب برصاصة خرَّ قتيلاً والتجأ رجالهُ الى ربوة كثيرة الصخور والادغال ولا ماء فيها فاحاط بهم العسكر المصري فاصلوهُ ناراً حامية الى ان فرغ بارودهم واستمرَّ العسكر يطلق الرصاص عليهم الى ان افناهم . قال ابرهيم باشا في كتاب بعث بهِ الى شريف باشا انهُ رأى منهم رجلاً واحداً فاز بالنجاة لانهُ لم يصعد الربوة معهم اما انا فبلغني من اهالي بنطا المجاورة لمكان الواقعة انهُ نجا منهم اربعون نفساً والظاهر ان ابرهيم باشا لم يرَ غير الذي اخبر عنهُ

وبلغ الدروز في راشيا قدوم ابرهيم باشا عليهم فهربوا الى ارض جنعم من بلاد حاصبيا بالقرب من قرية شبعا. وشرقي جنعم جبل الشيخ وغربيها الجبل الوسطاني وهو عسر المرتقى يفصل حاصبيا وبعض قراها عن جنعم والتفَّ عليهم كثيرون من دروز حاصبيا وبلادها وبلاد راشيا واقليم البلاّن واتاهم شبلي العريان من اللجاة فارسل ابرهيم باشا الى الامير خليل ليوافيهُ برجالهِ الى جنعم ولما التقى بالدروز اصلاهم ناراً حامية الى ان دارت الدائرة عليهم واستأمنوا وارسلوا اليهِ الشيخ حسن البيطار من عقّال راشيا يلتمس لهم الامان وكانت عباءتهُ مخرَّقة من الرصاص وكان ابرهيم باشا

يعرفهُ ويسرُّ بكلامهِ فقال لهُ ألم تزل حيًّا فقال انظر ما في عباءتي من خروق الرصاص والباري سبحانهُ لم يسمح بقتلي فان شئتهُ انت فانا بين يديك . فقال لهُ انا لا اشاء قتل احد ولكن قومك يسعون في قتل انفسهم . فقال الشيخ انهم انتبهوا الآن من غفلتهم وارسلوني اطلب لهم العفو والامان . فقال ابرهيم باشا ذلك لهم على شرط ان يسلموني سلاحهم . فقال الشيخ انهم خاضعون يفعلون كل ماتأمرهم بهِ فاصدر امرك برسوم الامان وليتوجه معي مأمور لكي نجمع السلاح ونسلمهُ لهُ . فكتب المرسوم وذهب المأمور فاعطوهُ السلاح وعندهم غيرهُ

ونهبت خلوات البياضة في هذه الحوادث وهي للدروز بمثابة الاديرة للنصارى (واستطرد المؤلف هنا الى ذكر عقائد الدروز والى حادثة البادري توما الذي قتل في دمشق واتهم اليهود بقتلهِ وغير ذلك من الحوادث التي ليس لها شأن كبير في تاريخ ابرهيم باشا) الى ان كانت سنة ١٢٥٥ فارسل السلطان محمود جيشًا كبيرًا لمحاربة ابرهيم باشا واخراجهِ من سورية فمضى ابرهيم باشا الى حلب وجمع عساكرهُ والتقى بالجيش التركي وانتصر عليهِ ووجد بين اوراق السرعسكر فرمان الولاية على الشام لعلي اغا كاتب الخزينة

وكان شريف باشا والي الشام ناقمًا على علي آغا هذا لانهُ كان وجيهًا عند ابرهيم باشا وكان ابرهيم باشا ينزل في دارهِ كلما جاء دمشق ويسرُّ بمسامرتهِ ونوادرهِ . وحضر علي آغا حرب نابلس التي اشتدَّ فيها الضيق على ابرهيم باشا واظهر حينئذٍ من الشجاعة والبسالة ما رفع منزلتهُ عند ابرهيم باشا ثم سار معهُ لمقابلة محمد علي باشا لما جاء الى يافا . وكان يخدم الحكومة المصرية مجانًا لم يقبل وظيفة ولا انتفع بشيءٍ وعرض عليهِ ابرهيم باشا وظائف تليق بهِ فاعتذر عن قبولها . وقال لهُ ابرهيم باشا في مجلس شراب الى متى اعرض عليك الوظائف وانت تأباها فقال علي آغا اني اخدمك في كل ما تريد الاَّ الوظائف المرتبة فاني لا اقبلها . وكان حاضرًا حسن بك الكحالة الدمشقي متسلم القدس فقال لهُ اما خدمت في اللاذقية متسلمًا ثم صرت متسلمًا في حماه . فاغتاظ ابرهيم باشا منهُ وقال لهُ هل الوزراء الذين خدمتهم اعظم مني . فقال كلا ولكنهم ما كانوا يسألون عن تصرفي واما دولة مصر فتعاقب خادمها اذا تناول هدية ولو ديكًا فتحبسهُ ويحضر القبطي يكتب جورنال الدعوى بعينين مزورتين ويلحظني شزرًا كأني قاتل اباهُ ويقول قرَّر فلان وقرَّر فلان وتكون الدعوى على ديك او جرزة بصل فلا اجعل نفسي لاجلهما اسيرًا وخير لي ان ابقى حرًّا اقبل هدية الثور والجمل ولا احد يسألني . فقال لهُ ابرهيم باشا اني ارتب لك راتبًا يكفيك ويرضيك فلا يبقى لك عذر ولا حاجة الى الهدايا . فاجابهُ ان الباري تعالى عندما خلق السموات والارض خلق الاسماك في البحار

والحيوانات في البر والطيور في الجو وجعل جنةً فيها من الاشجار انواع شتى من كل ما تشتهيهِ الانفس ثم استحسن ان يخلق حضرة ابينا آدم مخلقةً على صورتهِ في غاية الكمال وافاض عليهِ روح النبوَّة وجعلهُ حاكمًا على جميع مخلوقاتهِ من البهائم والاسماك والطيور والاشجار والاعشاب لا يزاحمهُ فيها انسان آخر واخلص الله لذاتهِ شجرة واحدة ونهى آدم عنها فعصا وا كل منها وهو نبيٌّ. فهما اعطيتني لا تقدر ان تعطيني ما اعطاهُ الله لآدم وانا ابنهُ فلا بدَّ وان يكون طبعي مثل طبعهِ ولا اقف عند نهيك فتعاقبني فخير لي ان ابقى خارجًا عن وظائف الحكومة. فسرَّ ابرهيم باشا بهذا الجواب واقتنع بهِ. لكن لما رأى فرمان التولية لهُ من الباب العالي امر بتوقيفهِ في محل بدار الحكومة. وكان شريف باشا كارهًا لهُ كما تقدَّم فعمل مجلسًا لاثبات تهم اتَّهمهُ بها. وكان علي آغا يبرهن على براءتهِ منها وكنت اقف على كل ما يقال في الجلسات من الامير محمود حفيد الامير بشير فانهُ كان يحضرها بامر شريف باشا ولم يذكروا لهُ فرمان الولاية ولا هو كان عالمًا بهِ (كما ثبت لي بعدئذٍ من علي بك ابن خليل باشا الذي حضر دمشق واليًا عليها فانهُ اخبرني ان اباهُ سعى في الحصول على فرمان الولاية لعلي آغا من غير ان يخبرهُ بذلك). لكن براءتهُ وتبرئتهُ نفسهُ لم تجدياهُ نفعًا. فقطعوا رأسهُ امام سراي الحكومة في الصباح وتركوهُ مطروحًا الى آخر النهار ليراهُ الناس وكان عمرهُ سبعين سنة لكنهُ كان كابن خمسين. وكان يومًا عبوسًا على اهالي دمشق من مسلمين ونصارى ويهود لان علي آغا كان محبوبًا مكرَّمًا عند الجميع ولم يكن احد يظن ان تكون لهُ هذه الخاتمة من يد المصريين لانهُ كان محبًّا لابرهيم باشا مخلصًا الولاء لهُ.

ثم ان الامراء بيت الحرفوش اصحاب بعلبك كانوا حكامها منذ قرون كثيرة فلما اخرجهم ابرهيم باشا من حكمها رتَّب لهم رواتب لا تقوم بمعيشتهم فشقوا عصا الطاعة وكان الامير جواد الحرفوش اعلاهم مقامًا واشدهم بأسًا لكنهُ ملَّ من الفرار امام رجال الحكومة فالتجأ الى الامير بشير واستأمن اليهِ فامَّنهُ ووعدهُ بالسعي لهُ لدى الحكومة للعفو عنهُ وكتب الى شريف باشا فاتاهُ الجواب بان يرسل الامير جوادًا واتباعهُ الى دمشق. ولما وصل الى دمشق قطع رأسهُ وطرحهُ امام باب السراي. فهذه الاعمال المَّت الامير بشيرًا واضعفت ثقتهُ بالمصريين وصار ينتظر زوال نعمتهِ عن يدهم كما ازالوا نعمة غيرهِ. (ويظهر من حوادث كثيرة ذكرها الدكتور مشاقه في عرض كلامهِ ان ابرهيم باشا كان اعدل من شريف باشا وارأف منهُ جدًّا فكان يعفو عن القاتل والعاصي اذا طلبا العفو وذكرا سببًا معقولاً للقتل او للعصيان. مثال ذلك ان الامير بشيرًا والامير خليلاً الشهابيين اخوي الامير سعد الدين

صاحب حاصبيا فتلا الامير بشيرٌ والامير عليًّا بديمه بعد رجوع ابرهيم باشا من حاصبيا وكانا قد استأمنا اليهِ فامَّنهما . فامر بتوقيف الامير سعد الدين عند الامير بشير في لبنان وفرّ القاتلان من وجه الحكومة واختفيا مدة . واتَّفق ان حسين الطرابلسي من متولة بلاد بشارة وهو رجل مشهور بالشجاعة ولهُ احد عشر ولدًا وكلهم من الشبان الاشداء وكان يقطع الطرق ويعتدي على ابناء السبيل بالسلب والنهب التي بالامير خليل احد الاخوين القاتلين فاطلق عليهِ الرصاص واخطأهُ فهجم عليهِ الامير خليل برجالهِ وقبضوا عليهِ ونزعوا سلاحهُ وشدُّوا وثاقهُ وسلموهُ لمحمد آغا سويدان حاكم حاصبيا وأرسل الخبر الى ابرهيم باشا فقال يا سبحانَ الله ان القتلة الهاربين من وجه الحكومة يمسك احدهم الآخر ويسلمهُ للحكومة . فقال لهُ احد الحضور ان المقبوض عليهِ كان يقتل طمعًا بسلب الاموال واما القابض فقتل قاتل اخيهِ أخذًا بثارهِ وفرَّ خوفًا من سطوة الحكومة ولم يسلب راحة الرعية ولا اتعب الحكومة ثم اظهر ولاءهُ لها في هذه الحادثة . فقال ابرهيم باشا لا ريب عندي في ولاء الامراء الشهابيين ولكن اخذهم تأرهم بيدهم لما يشين ولا سيما لانهم خفروا ذمتي ومع ذلك فقد عفوت عنهم لصدق خدمتهم وامر باطلاق الامير سعد الدين وتأمين اخويهِ وصرف معاشاتهم وشنق حسين الطرابلسي فشنقوهُ في حاصبيا ثم ارجع حكومة حاصبيا وراشيا الى الامراء الشهابيين

ومن هذا القبيل ان شبلي العريان البطل المشهور الذي قاوم ابرهيم باشا اشد مقاومة في حوران وحاصبيا واستأمن ثم خان عاد وطلب الامان وسلم سلاحهُ لابرهيم باشا والقى نفسهُ بين يديهِ فعفا عنهُ واحضرهُ معهُ الى دمشق وردَّ لهُ سلاحهُ وعقد لهُ على ثلاث مئة فارس

وتوفي السلطان محمود سنة ١٢٥٥ وخلفهُ ابنهُ السلطان عبد المجيد وكثرت القلاقل في بلاد الشام بسبب المغارم التي فرضتها الحكومة المصرية على الاهالي مع انها انصفتهم بعضهم مع بعض ولم تكن تأخذ منهم غير ما فرضتهُ عليهم وكانت تهتم بالمنافع العمومية فتدفع نفقاتها من غير ان تكلفهم شيئًا . مثال ذلك ان المياه القذرة كانت تنصبُّ من بعض احياء دمشق وتجتمع في خندق خلف السور جهة باب شرقي ويفوح منها روائح كريهة على البيوت المجاورة واكثر سكانها من النصارى واذا جفَّت في الصيف نزحها اصحاب البساتين ونقلوها الى بساتينهم فتجتمع اقذار غيرها ويمكن صرفها في نهر عقربا الذي لا يستعمل الاَّ للري لانهُ يحمل اقذارًا كثيرة من دمشق ولكن لا يمكن جرُّها اليهِ الاَّ اذا مرَّت في اراضي وقف المجذومين فالتمس اهالي المحلة من ابرهيم باشا ان يأذن لهم في صرف تلك الاقذار في نهر عقربا على نفقاتهم فكتب الى شريف باشا لكي يبحث في طلبهم بمعرفة المهندسين ويرى مقدار النفقات اللازمة لهُ ولما

ثبت له ان الضرر حاصل وانهُ يمكن صرف الاقذار في نهر عقربا امر بعمل كل ما يلزم لذلك على نفقات الحكومة قائلاً انهُ من المنافع العمومية التي يجب ان تتحمل الحكومة نفقاتها لانها مكلفة بدفع الضرر عن الرعية

ومنها ان الجزارين رفعوا سعر اللحم حتى صار ثمنهُ فاحشاً فامر ابرهيم باشا مجلس الشورى ان يبتاع الغنم ويعين من يذبحهُ ويبيعهُ بثمن معتدل ولما رأى ان الجزارين لم يرعووا امر ان يترك لهم الربح الكافي وتؤخذ منهم الزيادة وتنفق في المصالح العمومية فارتدعوا

الاَّ ان ثقل الضرائب وانقطاع ارزاق ابناء العشائر وساعي الاتراك والاوربيين حملت اهالي سورية على شق عصا الطاعة فجاهروا بالعصيان وفازوا باخراج ابرهيم باشا من بلادهم كما سيجيء

الشيخ محمد عبده

سيرتهُ ومآثرهُ

نشرت جريدة المنار ترجمة مسهبة للشيخ محمد عبده ووعدت بنشر كتاب مطوَّل جمعت فيهِ اثارهُ ومآثرهُ وما كتب عنهُ . واجتمع كثيرون من تلامذتهِ واصدقائهِ ومريديهِ في الاربعين من وفاتهِ وتلوا خطباً وقصائد في سيرتهِ ومآثرهِ في الجامع الازهر ومجلس الشورى ومحاكم القضاء والبلاد الاسلامية عامَّة فكثرت لدينا المواد فوق ما نعرفهُ بالخُبْر من امر الفقيد فاقتطفنا منها ما يأتي :

ولد سنة ١٢٦٦ للهجرة من ابوين متوسطي الحال ووالدهُ من بلدة محلة نصر في مديرية البحيرة وينتمي بيت والدهِ الى بني عدي من العرب وقال انهم من ذرية عمر بن الخطاب . وقد سمعنا من الفقيد انهُ من العرب الذين هاجروا من بلاد المغرب الى القطر المصري وقال صاحب المنار انهُ نشأ كما ينشأ امثالهُ من ابناء البيوت المعروفة في القرى ولم يدخل المكتب لتعلم القراءة والكتابة الاَّ بعد ان جاوز العاشرة من سنهِ وقد كتب عن مبدإ تعلمهِ وتأدبهِ ما نصهُ

" تعلمت القراءة والكتابة في منزل والدي ثم انتقلت الى دار حافظ قرآن قرأت عليهِ وحدي جميع القرآن اول مرة ثم اعدت القراءة حتى أتممت حفظهُ جميعهُ في مدة سنتين ادركني في ثانيتهما صبيان من اهل القرية جاءوا من مكتب آخر ليقرأوا القرآن عند هذا الحافظ ظناً منهم ان نجاحي في حفظ القرآن كان من اثر اهتمام الحافظ . بعد ذلك حملني

والدي الى طنطا حيث كان اخي لامي الشيخ مجاهد رحمهُ الله لأُجوّد القرآن في المسجد الاحمدي لشهرة قرائهِ بفنون التجويد وكان ذلك في سنة ١٢٧٩ هجرية

"ثم في سنة احدى وثمانين جلست في دروس العلم وبدأت بتلقي شرح الكفراوي على الاجرومية في المسجد الاحمدي بطنطا وقضيت سنة ونصفاً لا افهم شيئاً لرداءة طريقة التعليم فان المدرسين كانوا يفاجئوننا باصطلاحات نحوية او فقهية لا تفهمها ولا عناية لهم بتفهيم معانيها لمن لم يعرفها فادركني اليأس من النجاح وهربت من الدرس واختفيت عند اخوالي مدة ثلاثة اشهر ثم عثر عليَّ اخي فاخذني الى المسجد الاحمدي واراد اكراهي على طلب العلم فأبيت وقلت لهُ : قد أيقنت ان لا نجاح لي في طلب العلم ولم يبق عليَّ الاَّ ان اعود الى بلدي واشتغل بملاحظة الزراعة كما يشتغل الكثير من اقاربي : وانتهى الجدال بتغلبي عليهِ فاخذت ما كان لي من ثياب ومتاع ورجعت الى محلة نصر على نية ان لا اعود الى طلب العلم وتزوجت في سنة ١٢٨٢ على هذه النية

"فهذا اول اثر وجدت في نفسي من طريقة التعليم في طنطا وهي بعينها طريقتهُ في الازهر وهو الاثر الذي يجدهُ خمسة وتسعون في المئة ممن لا يساعدهم القدر بصحبة من لا يلتزمون هذا السبيل في التعليم — سبيل القاء المعلم ما يعرفهُ او ما لا يعرفهُ بدون ان يراعي المتعلم ودرجة استعدادهِ للفهم . غير ان الاغلب من الطلبة الذين لا يفهمون تغشهم انفسهم فيظنون انهم فهموا شيئاً فيستمرون على الطلب الى ان يبلغوا سن الرجال وهم في احلام الاطفال ثم يبتلى بهم الناس وتصاب بهم العامة فتعظم بهم الرزية لانهم يزيدون الجاهل جهالة ويضلون من توجد عندهُ داعية الاسترشاد ويؤذون بدعاويهم من يكون على شيء من العلم ويحولون بينهُ وبين نفع الناس بعلمهِ

"بعد ان تزوجت باربعين يوماً جاءني والدي صحوة نهار والزمني بالذهاب الى طنطا لطلب العلم وبعد احتجاج وتمنع واباء لم اجد مندوحة عن اطاعة الامر ووجدت فرساً أُحضر فركبتهُ واصحبني والدي باحد اقاربي وكان قوي البنية شديد البأس ليشيعني الى محطة (ايتاي البارود) التي اركب منها قطار السكة الحديدية الى طنطا . كان اليوم شديد الحر والريح عاصفة ملتهبة سافياء تحصب الوجه بشبه الرمضاء فلم استطع الاستمرار في السير فقلت لصاحبي اما مداومة المسير فلا طاقة لي بها مع هذه الحرارة ولا بدَّ من التعريج على قرية انتظر فيها ان يخف الحر فابى عليَّ ذلك فتركتهُ واجريت الفرس هارباً من مشادته وقلت اني ذاهب الى (كنيسة ادرين) — بلدة غالب سكانها من خؤولة ابي — وقد فرح بي

شبان القرية لانني كنت معروفاً بالفروسية واللعب بالسلاح واعلو أن أقيم معهم مدة يلهو فيها كل منا بصاحبه . أدركني صاحبي وبقي معي الى العصر وارادني على السفر فقلت لهُ خذ الفرس وارجع وسأذهب صباح الغد وان شئت قلت لوالدي انني سافرت الى طنطا فانصرف وأخبر بما أخبر وبقيت في هذه القرية خمسة عشر يوماً تحولت فيها حالتي " وبدلت فيها رغبة غير رغبتي "

" ذلك ان أحد اخوال أبي واسمهُ الشيخ درويش سبقت لهُ اسفار الى صحراء ليبيا ووصل في اسفاره الى طرابلس الغرب وجلس الى السيد محمد المدني والد الشيخ ظافر المشهور الذي كان قد سكن الاستانة وتوفي بها وتعلم عندهُ شيئاً من العلم واخذ عنهُ الطريقة الشاذلية وكان يحفظ الموطأ وبعض كتب الحديث ويجيد حفظ القرآن وفهمهُ ثم رجع من اسفاره الى قريتهِ هذه واشتغل بما يشتغل بهِ الناس من فلح الارض وكسب الرزق بالزراعة

" وان هذا الشيخ جاءني صبيحة الليلة التي بتها في الكنيسة وبيدهِ كتاب يحتوي على رسائل كتبها السيد محمد المدني الى بعض مريديهِ بالاطراف بخط مغربي دقيق وسألني ان اقرأ لهُ فيها شيئاً لضعف بصرهِ فدفعت طلبهُ بشدة ولعنت القراءة ومن يشتغل بها ونفرت منهُ اشد النفور ولما وضع الكتاب بين يدي رميتهُ الى بعيد لكن الشيخ تبسم وتجلى بلطف مظاهر الحلم ولم يزل بي حتى اخذت الكتاب وقرأت منهُ بضعة اسطر فاندفع يفسر لي معاني ما قرأت بعبارة واضحة تغالب اعراضي فتغلبهُ وتسبق الى نفسي . وبعد قليل جاء الشبان يدعونني الى ركوب الخيل واللعب بالسلاح والسباحة في نهر قريب من القرية فرميت الكتاب وانصرفت اليهم . بعد العصر جاءني الشيخ بكتابهِ وألحَّ عليَّ في قراءة شيء منهُ فقرأت وفسر ثم تركتهُ الى اللعب وفعل في اليوم الثاني كما فعل في الاول . اما اليوم الثالث فقد بقيت اقرأ لهُ فيهِ وهو يشرح لي معاني ما اقرأ نحو ثلاث ساعات لم أمل فيها فقال لي انهُ في حاجة الى الذهاب الى المزرعة لبعض العمل فيها فطلبت منهُ ابقاء الكتاب معي فتركهُ ومضيت اقرأهُ وكلما مررت بعبارة لم افهمها وضعت عليها علامة لأسألهُ عنها الى ان جاء وقت الظهر وعصيت في ذلك اليوم كل رغبة في اللعب وهوى ينازعني الى البطالة . وعصر ذلك اليوم سألتهُ عما لم افهمهُ فابان معناهُ على عادتهِ وظهر عليهِ الفرح بما تجدد عندي من الرغبة في المطالعة والميل الى الفهم

" كانت هذه الرسائل تحتوي على شيء من معارف الصوفية وكثير من كلامهم في آداب النفس وترويضها على مكارم الاخلاق وتطهيرها من دنس الرذائل وتزهيدها في الباطل من

مظاهر هذه الحياة الدنيا

" لم يأت عليّ اليوم الخامس الاّ وقد صار ابغض شيء اليّ ما كنت احبهُ من لعب ولهو وخفخفة وزهو . وعاد احب شيء اليّ ما كنت ابغضهُ من مطالعة وفهم وكرهت صور اولئك الشبان الذين كانوا يدعونني الى ما كنت احب ويزهدونني في عشرة الشيخ رحمة الله فكنت لا احتمل ان ارى واحداً منهم بل افر من لقائهم جميعاً كما يفر السليم من الأجرب. في اليوم السابع سألت الشيخ ما هي طريقتكم فقال طريقتنا الاسلام فقلت اولیس كل هؤلاء الناس مسلمين ؟ قال لو كانوا مسلمين لما رأيتهم يتنازعون على التافه من الامر ولما سمعتهم يحلفون بالله كاذبين بسبب وبغير سبب . هذه الكلمات كانت كأنها نار أحرقت جميع ما كان عندي من المتاع القديم — متاع تلك الدعاوي الباطلة والمزاعم الفاسدة متاع الغرور باننا مسلمون ناجون وان كنا في غمرة ساهين. سألتهُ ما وردكم الذي يتلى في الخلوات او عقب الصلوات . فقال لا ورد لنا سوى القرآن نقرأ بعد كل صلاة اربعة ارباع مع الفهم والتدبر : قلت انّي لي ان افهم القرآن ولم اتعلم شيئاً قال اقرأ معك ويكفيك ان تفهم الجملة وبركتها يفيض الله عليك التفصيل واذا خلوت فاذكر الله : على طريقة يبنها . واخذت اعمل على ما قال من اليوم الثامن فلم تمض عليّ بضعة ايام الاّ وقد رأيتني اطير بنفسي في عالم آخر غير الذي كنت اعهد واتسع لي ما كان ضيقاً وصغر عندي من الدنيا ما كان كبيراً . وعظم عندي من امر العرفان والتنوع بالنفس الى جانب القدس ما كان صغيراً. وتفرقت عني جميع الهموم ولم يبقَ لي الاّ هم واحد وهو ان اكون كامل المعرفة كامل ادب النفس ولم اجد إماماً يرشدني الى ما وجهت اليهِ نفسي الاّ ذلك الشيخ الذي اخرجني في بضعة ايام من سجن الجهل الى فضاء المعرفة ومن قيود التقليد الى اطلاق التوحيد. هذا هو الاثر الذي وجدتهُ في نفسي من صحبة احد اقاربي وهو الشيخ درويش خضر من اهالي (كنيسة ادرين) من مديرية البحيرة . وهو مفتاح سعادتي ان كانت لي سعادة في هذه الحياة وهو الذي ردّ لي ما كان غاب من غريزتي وكشف لي ما كان خفي عني مما اودع في فطرتي

" وفي اليوم الخامس عشر مرّ بي احد سكان بلدتنا (محلة نصر) فاخبرني ان والدتي ذهبت الى طنطا لتراني فعلمت ان سيقول لوالدي انني لا ازال في الكنيسة فاصبحت مبكرا الى طنطا خوف عتاب الوالد واشتداده في اللوم لانني لو كنت اقمت الف دليل على انني وجدت في مهربي مطلبهُ ومطلبي لما اقتنع

" ذهبت الى طنطا وكان ذلك قرب آخر السنة الدراسية في شهر جمادى الاخرة من

سنة ١٢٨٢ هجرية لكن اتفق ان بعض المشايخ كانت ماتت بنتهُ فعاقهُ الحزن عليها عن اتمام شرح الزرقاني على العزية وآخر عرض لهُ عارض منعهُ عن اتمام شرح الشيخ خالد على الاجرومية فادركت كلا منهما في اوائل الكتاب الذي كان يدرسهُ وجلست في الدرسين فوجدت نفسي افهم ما اقرأ وما اسمع والحمد لله . وعرف ذلك مني بعض الطلبة فكانوا يلتفون حولي لا طالع معهم قبل الدرس ما سنتلقاهُ . وفي يوم من شهر رجب من تلك السنة كنت اطالع بين الطلبة واقرر لهم معاني شرح الزرقاني فرأيت امامي شخصاً يشبه ان يكون من اولئك الذين يسمونهم بالمجاذيب فلما رفعت راسي اليهِ قال لي ما معناهُ : ما احلى حلوى مصر البيضاء : فقلت لهُ واين الحلوى التي معك ؟ فقال سبحان الله من جد وجد : ثم انصرف فعددت ذلك القول منهُ الهاماً ساقهُ الله اليَّ ليحملني على طلب العلم في مصر دون طنطا

"وفي منتصف شوال من تلك السنة ذهبت الى الازهر وداومت على طلب العلم على شيوخهِ مع محافظتي على العزلة والبعد عن الناس حتى كنت استغفر الله اذا كلمت شخصاً كلمة لغير ضرورة . وفي اواخر كل سنة دراسية كنت اذهب الى (محلة نصر) لاقيم فيها شهرين من منتصف شعبان الى منتصف شوال . وكنت عند وصولي الى البلد اجد خال والدي الشيخ درويشاً قد سبقني اليهِ فكان يستمر معي يدارسني القرآن والعلم الى يوم سفري . وكل سنة كان يسألني ماذا قرات فاذكر لهُ ما درست فيقول : ما درست المنطق مادرست الحساب ما درست شيئاً من مبادىء الهندسة : وهكذا وكنت اقول لهُ بعض هذه العلوم غير معروف الدراسة في الازهر فيقول : طالب العلم لا يعجز عن تحصيلهِ في اي مكان : فكنت اذا رجعت الى القاهرة التمس هذه العلوم عند من يعرفها فتارةً كنت اخطئ في الطلب واخرى اصيب الى ان جاء المرحوم السيد جمال الدين الافغاني الى مصر او اخر سنة ١٢٨٦

"وقد صاحبتهُ من ابتداء شهر المحرم سنة ١٢٨٧ واخذت اتلقى عنهُ بعض العلوم الرياضية والحكمية (الفلسفية) والكلامية وادعو الناس الى التلقي عنهُ كذلك واخذ مشايخ الازهر والجمهور من طلبتهِ يتقولون عليهِ وعلينا الاقاويل ويزعمون ان تلقي تلك العلوم قد يفضي الى زعزعة العقائد الصحيحة وقد يهوي بالنفس في ضلالات تحرمها خيري الدنيا والاخرة فكنت اذا رجعت الى بلدي عرضت ذلك على الشيخ درويش فكان يقول لي : ان الله هو العليم الحكيم ولا علم يفوق علمهُ وحكمتهُ وان اعدى اعداء العليم هو الجاهل واعدى اعداء الحكيم هو السفيه وما تقرب احد الى الله بافضل من العلم والحكمة فلا شيء من العلم بممقوت عند الله ولا شيء من الجهل بمحمود لديهِ الاَّ ما يسميهِ بعض الناس علماً وليس في الحقيقة بعلم كالسحر

والشعوذة ونحوها اذا قصد من تحصيلها الاضرار بالناس: "

هذا ما كتبهُ الفقيد عن مبدإ تربيتهِ وتعلمهِ في ترجمتهِ التي كتبها في قبل اشتداد مرضهِ الاخير وكان قد حدثني قبل بشيء من ذلك ومنهُ انهُ لم يكن يواظب على حضور دروس من لا ينهم او لا يستفيد منهم وانهُ ربما كان يحضر درس احدهم وفي يدهِ كتاب آخر يطالع فيهِ مدة الدرس وان من شيوخهِ الذين فهم منهم واستفاد في اول تحصيلهِ الشيخ محمد البسيوني وانهُ بعد الحضور في الازهر ثلاث سنين ملَّ الدروس المعتادة كأنهُ اخذ حظهُ منها وصارت نفسهُ تطلب شيئاً جديداً وتميل الى العلوم العقلية ولكنهُ حضر جميع الكتب وفهمها ولم يكن يرتاح الى اعادة شيء منها . وكان الشيخ حسن الطويل ممتازاً في الازهر بعلم المنطق فحضرهُ عليهِ ولم يكن يشفي ما في نفسهِ بل كانت تتشوق دائمًا الى علم غير موجود فكان يبحث في خزائن الكتب الازهرية عن طلبتهِ فيظفر ببعض الشيء ومما ظفر بهِ القطب على الشمسية ناقصاً . وقرأ الشيخ حسن الطويل لهم شيئاً من الفلسفة ولكن لم يكن يجزم بان المعنى كذا بل كان الدرس احتمالات او اشبه بالحزر فيما يفهم حتى جاء السيد جمال الدين فسكنت اليهِ نفسهُ من اضطرابها ووجدت عندهُ جميع طلبتها واقصى امنيتها . واخبرني رحمهُ الله تعالى ان الذي اخبرني بقدوم السيد جمال الدين هو احد المجاورين في رواق الشوام قال لهُ انهُ جاء مصر عالم افغاني عظيم وهو يقيم في خان الخليلي فسر بذلك واخبر الشيخ حسناً ودعاهُ الى زيارتهِ معهُ فالفياهُ يتعشى فدعاهما الى الاكل معهُ فاعتذر فطفق يسألهما عن بعض آيات القرآن وما قالهُ المفسرون والصوفية فيها ثم يفسرها لهم فكان هذا مما ملأ قلب الفقيد بهِ عجباً وشغفهُ حباً

وقال حسن باشا عاصم في ترجمتهِ التي تلاها يوم تذكار الاربعين ان الفقيد "عرض نفسهُ في سنة ١٢٩٤ هـ على مجلس الامتحان طالباً شهادة العالمية من الازهر فنال الشهادة رغماً عن تشديد اكثر المشايخ عليهِ لحضورهِ على السيد جمال الدين فهذا دور التعلم والتربية واما دور العمل والاصلاح فقد بدأ بهِ في اثناء الطلب . كان يقرأ دروساً في التوحيد والمنطق وغير ذلك يحضرها الجم الغفير من الازهريين فيرون كتباً جديدة من كتب سلفهم واسلوباً جديداً يتدفق فصاحة وبلاغة وفتح لهم باب المذاكرة والبحث فكانوا يسهرون لذلك حتى مطلع الفجر

وبعد ان صار مدرساً رسمياً زادت عنايتهُ بذلك وكاد الازهر لذلك العهد ينهض نهضة تحيي العلم والدين ولكن حال دون ذلك اضطهاد المرحوم الشيخ عليش للفقيد لوشاية مكنتها من نفسهِ حضور الفقيد على السيد جمال الدين

وكان غرض السيد جمال الدين الاصلاح الاسلامي بواسطة الحكومة لانهُ اسرع فائدة وانفع ثمرة لو تم . وقد مهد لهُ السيد بتلاميذهِ ومريديهِ حتى كاد ينجح بعد عزل الخديو اسماعيل وتولية الخديو توفيق الذي كان متصلاً بهِ قبل ذلك . وكان هو المأمول لتنفيذ الاصلاح ولكن ما كاد يستقر على كرسي الخديوية حتى اوغر الوشاة صدرهُ على السيد وعلى تلميذهِ الاول ويمينهِ في العمل فنفي السيد الى خارج القطر وذهب الشيخ الى بلدهِ (محلة نصر) وكان ذلك في رمضان سنة ١٢٩٦ هـ

كان الفقيد قبل ذلك عين معلماً للتاريخ في مدرسة دار العلوم وللغة العربية في مدرسة الالسن فجرى في التدريس على طريقة جديدة كانت مبدأ الاصلاح والنجاح . وكان يقرأ في مدرسة دار العلوم مقدمة ابن خلدون ولم نقرأ قبلهُ درساً في مصر وكان يسلك في تدريسها مسلك الاستاذ المجتهد في علم الاجتماع والعمران ولو طال الزمان على درسهِ هذا لربى رجالاً واحيا آمالاً

وفي سنة ١٢٩٧ هـ عينهُ صاحب الدولة رياض باشا محرراً في الجريدة الرسمية ثم جعلهُ رئيس التحرير فيها ورغب اليهِ في سن قانون للمطبوعات ففعل . وكان من احكام ذلك القانون انهُ يجب على جميع مصالح الحكومة ان تخبر قلم المطبوعات باعمالها واحكامها ومشروعاتها وان لرئيس التحرير حق الانتقاد على ما يراهُ منتقداً منها كما انهُ لهُ حق المراقبة على الجرائد التي تنشر في البلاد المصرية ومعاقبتها حتى بالتعطيل الدائم . ومن احكامهِ ان ينشئ رئيس التحرير في الجريدة الرسمية قسماً ادبياً تنشر فيهِ المقالات في التربية والآداب والتدبير وغير ذلك من الامور النافعة في الاخلاق والعادات

بهذا القانون صار الفقيد كالمسيطر على عمال الحكومة والمربي للامة وقد قام بالامرين حق القيام فكانت الجريدة الرسمية تنتقد ما تكتبهُ مصالح الحكومة حتى اضطر رؤساء الكتاب الى تلقي دروس في العربية وانشئت لذلك مدارس ليلية تبرع الفقيد بالقاء دروس في بعضها وتنتقد الاعمال حتى كان ذلك عوناً على اصلاحها لما يتوقاهُ العمال من الانتقاد والتشهير بل من المؤاخذة بعد ذلك اذ المنتقد انما ينتقد بلسان الحكومة — بل كان من القانون ان لرئيس التحرير الحق في مطالبة الحكومة بالتحقيق عما تقولهُ الجرائد المحلية في عمال الحكومة فان ظهر صدق ظعن في احد فعلى الحكومة ان تؤاخذهُ . وكان يؤاخذ الجرائد بفساد عباراتها حتى انهُ انذر بعض الجرائد بالتعطيل اذا لم تأتِ بمحرر بارع يصحح عبارتها بعد ايام حددها ففعلت فكان وجودهُ في المطبوعات مبدأ النهضة القلمية في القطر المصري بعد ان اعدهُ السيد جمال

الدين وافراد آخرين لذلك . وقد كان من اثر انتقاده على الحكومة انشاء مجلس اعلى لنظارة المعارف هو احد اعضائه والغرض منهُ ترقية التربية والتعليم في البلاد

بعد ذلك جاءت الثورة فاوقفت سير هذا الاصلاح في اللغة والاعمال والآداب كما اوقفت غيرهُ مما كانت الحكومة شرعت فيهِ بهمة رياض باشا

لذلك كان الفقيد شديد الانتقاد على العرابيين قولاً وكتابة ولكن الوشاية اتهمتهُ فحكم عليهِ بالنفي ثلاث سنين

اذا اراد الله بعبد خيرًا اهَّلهُ للاستفادة من كل شيء ولقد كانت تربية الفقيد تحتاج في كمالها الى السياحة في الارض واختبار الامم فتمَّ لهُ ذلك بهذا النفي

ذهب الى سورية واقام فيها نحو سنة ثم سافر الى اوربا واقام نحو عشرة اشهر التقى فيها باستاذهِ وصديقهِ السيد جمال الدين على موعد واصدرا جريدة العروة الوثقى التي كان لها اعظم تأثير في العالم الاسلامي ولكن لم يطل عليها العهد اذ منع دخولها في مصر والهند وهما القطران المقصودان بها اولاً وبالذات ثم عاد الى سورية مارًّا بتونس فاقام فيها عدة سنين

كان في بيروت يدرس العقائد الاسلامية في المدرسة السلطانية ويقرأ درسًا في التفسير في الجامع الكبير ودرسًا آخر في جامع آخر وكانت دارهُ ملتقى العلماء والفضلاء من جميع الطوائف وكان يكتب في الجرائد بعض المقالات النافعة والنصائح الدينية وقد اختبر حال المسلمين وغيرهم من الطوائف اتم الاختبار

وفي سنة ١٣٠٦ عاد الى مصر وتسابق العظماء الى الشفاعة فيهِ لدى الخديوي السابق فعفا عنهُ وامر بان يعين قاضيًا في المحاكم الاهلية فلما علم بذلك استاء وسعى في ان يكون معلمًا في دار العلوم قائلاً اني خلقت لان اكون معلمًا لا قاضيًا فلم يقبل الخديوي الاَّ ان يكون قاضيًا فرضي رحمهُ الله بالقضاء وارتقى الى اعلى مرتبة فيهِ وكان فيهِ قاضي العدل والانصاف لا قاضي القانون والرسوم فقد كان لا يحكم بنص القانون اذا لم ينطبق معهُ على العدل والانصاف بل يعمد الى الصلح وكان يتوخى التربية في احكامهِ حتى طهر بعض البلاد التي تولى القضاء فيها من دنس التزوير

منذ اكثر من ثلاثين سنة فكر بعض عقلاء هذه الامة في طريقة لارتقاء علماء الدين الى درجة ينفعون بها العالم الاسلامي كما نفعهُ سلفهم فكان رأي البعض ان لا سبيل الى ذلك الاَّ بايجاد مدرسة تدرس فيها علوم الدين والعلوم الاخرى وكان من وراء ذلك انشاء مدرسة دار العلوم سنة ١٢٩٠ هـ والبعض الاخر كان يرى ان اقرب الطرق للوصول الى هذا

الغرض هو اصلاح الازهر. وكان الفقيد على هذا الرأي ولذلك ما كان يجد فرصة الاّ انتهزها لتحقيق امانيهِ حتى انهُ لما اتصل بسمو الجناب الخديوي عباس الثاني في اول ولايتهِ ونالـــ الحظوة عندهُ تعين عضوًا في مجلس ادارة الازهر وتمكن من العمل في اصلاح التعليم والتربية الدينية فيهِ لاعتقادهِ انهُ اصلاح اسلامي عام بنتشر نورهُ في جميع بلاد الاسلام. وفي سنة ١٣١٧ قلدهُ سمو الجناب الخديوي منصب افتاء الديار المصرية فكان بهِ لهذا المنصب الشأن العظيم حتى كاد يكون مرجع الافتاء في العالم الاسلامي

وكان من مقتضى منصب الافتاء ان كان رحمهُ الله عضوًا في مجلس الاوقاف الاعلى فكان نبراسًا للمجلس يستضيءُ برأيهِ في تطبيق اعمالهِ على احكام الشرع الشريف وفي حل المشكلات. ومن اقتراحاتهِ المفيدة ان تشكلت لجنة تحت رئاستهِ وضعت نظامًا للمساجد لو عمل بهِ كما هو لعمرت بيوت الله وبيوت خدمتها ولكانت عونًا على احياء علوم الدين

عقب تقلدهِ منصب الافتاء عين عضوًا في مجلس شورى القوانين فكان للمجلس على عهدهِ من الخدمة النافعة والاحترام ما لم يكن لهُ من قبل فقد كان عامل التوفيق بين المجلس والحكومة وكان اهم غرض لهُ من التعب الشديد في المجلس تعويد الامة دقة البحث في امورها وتربية الراي العام فيها. ولا ننسَ من خدمتهِ للعلوم الاسلامية رئاستهُ لجمعية احياء العلوم العربية فقد أُسست هذه الجمعية في سنة ١٣١٨ لاحياء كتب سلف هذه الامة وافاضل علمائها وكانت فاتحة اعمالها طبع كتاب المخصص لابن سيده في اللغة وهو كتاب لا نظير لهُ في موضوعهِ. وقد تولى تصحيحهُ مع علامة اللغة المرحوم الشيخ محمد محمود الشنقيطي وان الفضل في خدمة الشنقيطي لهذا الكتاب راجع الى فقيدنا فانهُ لولاهُ لما اقام في هذه البلاد. وقد شرعت الجمعية بعد طبع المخصص في احياء مدون الامام مالك رضي الله عنهُ. وللفقيد من الخدمة في استحضار نسخها من تونس وفاس وغيرها من البلاد ما لولاهُ لم يكمل لنا استنساخ الكتاب كلهِ

وكان يعتقد انهُ لا يرجى خير لامة الاّ اذا دبت في افرادها روح الاعتماد على النفس بعد التوكل على مسبب الاسباب وعلى التعاون على خدمة العامة الأمر الذي لا يتأتى الاّ بالتربية والتعليم. ولما كان يرى نفسهُ مخلوقة لتربية الامة وتعليمها فقد كان من المؤسسين للجمعية الخيرية الاسلامية في سنة ١٣١٠ هجرية ولهُ من العمل فيها ما يجعلهُ في مقدمة اعضائها. فانهُ كان يحضُّ الامراء والعظماء والسراة على الاشتراك فيها ويحصل قيم الاشتراكات بنفسهِ اذا اقتضت الحال ذلك ويعمل كل ما في جهدهِ لارتقائها واتساع نطاقها. وكان يرى ان الفائدة الكبرى من هذه الجمعية هي تعويد المسلمين الاجتماع لاجل التعاون وشعار قلوب الاغنياء

عاطفة الرحمة والاحسان على الفقراء كما كان يصرح بذلك في الاحتفال السنوي من كل عام"

وافاض حضرة القاضي الفاضل الشيخ احمد ابي خطوة في وصف ما عمله الفقيد للازهر فنقتطف منهُ ما يأتي قال

"كان شغلهُ الشاغل لاوقافهِ الازهر واهلوهُ لعلمهِ ان في صلاحهِ صلاح المسلمين ولقد نقل عنهُ وهو بالشام انهُ لا يرتاح ولا يهدأ خاطرهُ الاَّ اذا صلح هذا المكان . وانهُ لا بدَّ ان يجهد نفسهُ ويعمل فكرهُ ويعمل في صلاحهِ وانهُ ان مات في هذا السبيل مات قرير العين . ولهذا كان دأبهُ السعي في مصلحتهِ وهو غير مكلف بهِ الاَّ من نفسهِ . فلما ان كلف بهِ من الحكومة المصرية في ١٧ رجب سنة ١٣١٢ وصدر الامر العالي بتعيينهِ عضوًا في مجلس ادارة الازهر رأى انهُ سيصل الى ضالتهِ المنشودة واخذ في كل ما يرقيهِ من كل جهاتهِ . ووافقهُ وساعدهُ على ذلك بعض كبراء مشايخ الازهر واعضاء مجلس ادارتهِ خصوصاً عضدهُ وصديقهُ الشيخ عبد الكريم سلمان

ابتدأ بالبحث عن اهل الازهر وسيرهم واخلاقهم ومعيشتهم ومساكنهم والعلوم المتداولة بينهم وطرق العلم والتعليم . فعلم انهم يستوجبون العناية والالتفات خصوصاً في امر معيشتهم لان اكثرهم من الفقراء الضعفاء . وليس لهم الاَّ قليل من خبز الجرايات يقدر بنحو خمسة آلاف رغيف في اليوم وقليل من مرتبات النقود لا تزيد عن ٣١٠ جنيهات مرتبات شهرية و٦٣٧ جنيهاً مرتبات سنوية وهي المعروفة بدل الكساوي وان مساكنهم عتيقة ضيقة . فرأى ان من اول الواجبات ان يتقدم الاصلاح المعنوي اصلاح الماديات فاجتهد مع من يدهم الامر في الحكومة حتى زيد في المرتبات الشهرية المرتبة من المالية الفا جنيه في السنة ووعدوهُ بالمزيد الى عشرة آلاف جنيه متى ظهرت فائدة الاصلاح . ثم استمطر فيوضات الجناب العالي الخديوي فافاض ما اوجب على الازهريين شكر ايادية واصدر امرهُ الى ديوان الاوقاف بترتيب ثلاثة آلاف جنيه وثلاثمائة واربعة وسبعين جنيهاً في السنة وزيد في خبز الجرايات مبالغ وافرة وعم هذا الخير الجهات الملحقة بالازهر كالجامع الاحمدي والدسوقي وعلماء دمياط والاسكندرية حتى بلغ الآن مجموع مرتبات الازهر وملحقاتهِ نحوَ اربعة عشر الف جنيه وسبعمائة وخمسين جنيهاً بعد ان كان فوق الاربعة الاف بقليل وذلك غير ما زيد لبعض اشخاص منهم وغير ما زيد في رواتب الخدم والموظفين وقد بلغت الجرايات العمومية والخصوصية في اليوم بخصوص الازهر نحو ١٥٠٠٠ رغيف بعد ان كانت ٥٠٠٠ رغيف كما قدمناهُ وذلك غير ما رتب من الجرايات للملحقات المذكورة . واما ما يتعلق بالمساكن فانهُ قد عرض امرها على الجناب

الخديوي فصدر امرهُ بشراء الاماكن المجاورة للازهر من جبتهِ الغربية ليجعل مكانها اماكن لسكنى المجاورين واستتبع هذا هدم كثير من الاروقة المعدة لسكنهم وتجديدها فكمل هذا وذاك على احسن مثال مراعى فيهِ النظامات الصحية . ثم توجهت الفكرة الى نظافة الازهر بتمامهِ فبعد ان كان يفرش في السنة مرة واحدة صار يفرش في العام مرتين وبعد ان كان يضاء بالزيت القليل الضوء حسب العادة أمسى يضاء بمصابيح الغاز التي تكفي القارئ والكاتب فسهل على الطلبة الاشتغال ليلاً . وبعد ان كانت المياه المستعملة فيهِ معينة مالحة راكدة قذرة لا توجد الاَّ بمزيد التعب والمشقة ادخلت فيهِ حنفيات شركة المياه فاصبح ماؤهُ يتجدد كل يوم نقياً صالحاً للاستعمال

كان امر الصحة في الازهر مهملاً بالمرة وكانت الامراض المعدية منتشرة فيهِ فعين لهُ طبيب يعرض عليهِ كل مَن يريد الالتحاق بالازهر من الطلاب ويعالج المرضى ويراقب تنفيذ الامور الصحية وانشئت لهُ اجزاخانة بالرواق العباسي وتحل لعيادة المرضى وصرفت لهم الادوية مجاناً فاصبح ولاهلهِ عناية تامة بالصحة من انفسهم . ولما كان هذا المحل المعد لعيادة المرضى لا يسعهم اشتغل رحمهُ الله في ديوان الاوقاف حتى تقرر انشاء مستشفى فسيح بجوار الازهر في شارع الشنواني أُعد لاقامة المرضى ومعالجتهم فيهِ خصوصاً في زمن الامراض الوبائية دفعاً لحدوث مثل حادثة رواق الشوام المشهورة وسيفتح قريباً ان شاء الله . وناهيك بامر صيانة نظام الضبط والربط في الازهر فقد زيد عدد خدمتهِ وملاحظيهِ بنسبة عدد المجاورين فيهِ فامتنع بذلك حدوث كثير من الوقائع والمشاجرات

كانت مشيخة الازهر تدار اعمالها بمنزل من يكون شيخاً لهُ يتحمل اهلهُ مشقة الذهاب والاياب على اختلاف ابعاد المسافات بين الازهر وبين بيوت مشايخهِ . وكان لهُ كاتب واحد يجلس في الازهر حيث شاء . وكانت سلطتهُ عامة طامة . فكان من عمل المرحوم وسعيهِ ان أُنشئ في المباني الجديدة مكان للشيخة والادارة . وتبينت كثرة الاعمال وان كاتباً واحداً لا يكفيها . فزيد في عدد الكتبة خمسة ووظف لمجلس الادارة العدد الكافي من الخدم حتى صارت الادارة ديواناً كبيراً واستراح العلماء والطلبة من قطع المسافات وتضييع الاوقات في الذهاب الى بيوت المشايخ وتجزت الاعمال في اوقاتها

كانت المرتبات في الازهر مبعثرة مشتتة لا ضابط لها سنويَّة كانت او شهريَّة . كانت تمنح لاناس دون اخرين فكان لبعضهم نحو الستة عشر قرشاً في الشهر وللكثير منهم الحرمان ولبعضهم ما فوق الستمائة قرش . وكان لاولاد العلماء بعض هذه المرتبات يعطونها بلا شرط ولا قيد حسبما يراهُ شيخ الجامع وحدهُ فجاء نظام المرتبات الذي اشتغل بهِ الشيخ المرحوم

اول الامر ودفع كل هذه الاستثمارات فجعل العلماء درجات على كل منهم درجتهُ ومقدار مرتبهِ فكان يأتيهم بدون كد ولا رجاء وكذلك صار الحال في المرتبات السنوية التي هي بدل الكساوي فكان لكل نوع من هذين النوعين ضوابط استوفى بها كل واحد مرتب درجتهِ وانتفع بهِ بلا حاجة الى الرجاء والاستجداء . واما اولاد العلماء فقد جعل لهم في استيلائهم على المرتبات المخلة عن آبائهم شروطاً وقيوداً الغرض منها استدامة اشتغالهم بطلب العلم ليخلفوا آباءهم فيهِ وبسبب هذا النظام استقال كثير منهم من طلب العلم لما عرفوهُ في انفسهم من الضعف عنهُ فحرموا من المرتب بمقتضى هذا القانون . ولكن الشيخ رحمهُ الله رقى لفقرهم وجمع لهم من اهل البر والخير صدقة واسعة هي مودعة في خزينة الازهر ليصرف عليهم منها كل شهر مقدار ما كانوا يأخذون من الازهر تقريباً وربما زاد

اما نظام الجرايات فكان من الحجية بمكان لا يتصور ما هو عليهِ ولا كيف رضي بهِ اهلوهُ فلم تكن الاَّ منبع ثروة للنقباء ومشايخ الاروقة والحارات وسبباً للتخاصم والتحاسد بين اهليهِ ولذلك رأى الشيخ رحمهُ الله ان يجعل لها نظام عام واشتغلت بذلك مشيخة الازهر ومجلس ادارتهِ وانتهى الامر بتشكيل لجنة للنظر فيها ووضع نظام يعم جميع الاروقة والحارات على اختلاف مقادير الجرايات فيها وجهات ورودها مراعى فيهِ شروط الواقفين ان كان لها شروط معينة والاَّ فيرجع الى قواعد الشرع الشريف. فشكلت تحت رئاسة الاستاذ الشيخ الرافعي

وكذلك وُضع لكساوي التشريف نظام حتى لا تكون في اعطائها والحرمان منها موكولة الى رأي واحد وحتى لا يدخل فيها من ليس من اهل العلم كما كان جارياً من قبل فصار استحقاق الكسوة العلمية مشروطاً بشروط مقيداً بقيود الغرض منها ان لا تمنح الكسوة الاَّ لمن وضع نفسهُ في التعليم مع مراعاة الاقدمية عند التساوي وبذلك انتقل الحال فيها ايضاً من الحجية الى النظام

هذا ما وجه اليهِ المرحوم فكرتهُ من اصلاح الماديات الذي جعلهُ مقدمة لاصلاح المعنويات وبعد الفراغ منهُ وجه فكرتهُ الى وضع نظام للتدريس والامتحان فكان كذلك واشتغلت مشيخة الازهر ومجلس الادارة بوضع قانون عام لذلك بينت فيهِ مقاصد العلوم ووسائلها وما يجب لعلوم المقاصد من العناية وتوسيع الزمن وبينت علوم المقاصد بانها هي التوحيد والتفسير والحديث والفقه واصوله والاخلاق الدينية وبينت الوسائل بانها هي المنطق والنحو والصرف وعلوم البلاغة الثلاثة وعلم مصطلح الحديث وضم اليها الحساب والجبر وتاريخ الاسلام وصناعة الانشاء ومتن اللغة وآدابها ومبادئ الهندسة وتقويم البلدان والزم طالب الامتحان للحصول على شهادة العالمية بادائهِ في المقاصد وبعض الوسائل والحساب والجبر ثم حتم

القانون على معلمي العلوم الآلية خصوصاً علوم البلاغة ان يدربوا الطلبة على تطبيق العلم على العمل وان يتجنبوا في السنين الاربع الاول قراءة الحواشي والتقارير صيانة للوقت من الضياع وغير ذلك من الاحكام الكثيرة التي ترجع كلها الى تحصيل جواهر العلوم الدينية في زمن معلوم بطريقة سهلة التناول والتحلي بمحاسن الاخلاق الشرعية والاقتدار على الانتفاع بما حصلوهُ من العلوم. وبهذا تحول الازهر من فوضى التدريس الى نوع من النظام. ولقد كانت العادة ان لا يتجاوز عدد الممتحنين من طالبي الامتحان الكثيرين عن ستة اشخاص في السنة وقد يكونون في الغالب ثلاثة اشخاص لا غير فوصل عدد الممتحنين بعد وضع هذا النظام وتنفيذهِ الى خمسة وتسعين في السنة ربما نجح منهم ما فوق الثلث وبذلك سار الامتحان في طريق التقدم وتجددت عزائم الطلبة وتكاملت رغباتهم في التحصيل. وكانت المدة التي يشتغل فيها الطالب في السنة قبل وضع هذا النظام في الازهر لا تزيد عن اربعة اشهر مقطعة في السنة كلها فصارت الآن بعد تحديد ايام العطلة بمقتضى هذا النظام تزيد عن الثمانية اشهر

هذا ما يتعلق باصول العلم والتعليم وقد اشتغل رحمهُ الله بافكار تكميلية لهذا النظام كان يعرض كل ما سنح لهُ منها على مشيخة الازهر ومجلس الادارة فاشتغلوا جميعاً بوضع قرارات تكميلية لهذا النظام صارت قواعد اساسية الى اليوم. منها ما يرجع الى كيفية تعليم المعلم. ومنها ما يبين الواجب على المشايخ في اثناء التعليم وان يكونوا قدوة للطالب في مكارم الاخلاق. ومنها ما يتعلق بسير الطالب وآدابهِ مع الاستاذ واخوانهِ من الطلبة المتعلمين معهُ. ومنها ما يتعلق بتبيين الطريقة المثلى في تعليم العلوم الآلية حتى يتوصل بها الى المقاصد وتستثمر بها الحكم التي قصدها الشرع الشريف من الاحكام. واستعان مجلس الادارة بما زيد في تقود المرتبات على هذه الامنية خصوصاً فيما يتعلق بالعلوم الحديثة فانهُ خصص منها ستمائة جنيه لمعلمي تاريخ الاسلام والحساب وتقويم البلدان وانتخب لتعليمها في الازهر معلمين كانوا قد تخرجوا في الازهر وانتقلوا الى مدرسة دار العلوم حتى لا يكون معلموها اجانب عن هذا المكان. وخصص كذلك ثلاثمائة وستين جنيهاً لتعليم الخط فاصبح هذا الفن مع سابقيهِ منتشراً في الازهر بين كل الطلبة واستفاد اهلوهُ من ذلك فائدة عظيمة فاصبحوا في هذه العلوم على حال لم تكن لتنتظر منهم. فانهُ يوجد فيهِ الآن خمسة عشر عالماً يدرّسون الحساب على احسن ما يكون في تدريسهِ بالمدارس الاميرية وثلاثة يدرّسون علم تقويم البلدان وواحد يدرّس علم الاملاء والكثير من الطلبة قد ادّى الامتحان في الحساب والجبر العالي وتحصل على الشهادة باكمال دروسهما ومن بينهم عدد كبير تقدموا في امتحان الاساتذة بالمدارس الاميرية ومدارس الاوقاف والمدارس

الاهلية وحاروا قصب السبق فيهِ على المتخرجين من تلك المدارس واحرزوا وظائف الاستاذية فيها باستحقاق وهذه احدى النتائج الحسان التي ربما كانت لا يحلم بها ولا تخطر على البال

ولما لغط اللاغطون في ان هذه العلوم احديثة ربما حالت بين الطالب وبين العلوم القديمة المتداولة في الازهر رأى المرحوم ان يعمل احصاءً عن الطلبة الذين يتقدمون لامتحان المكافآت في كل عام يقصد فيهِ تبيان حال من اشتغل بهذه العلوم الحديثة مع العلوم القديمة ومن لم يشتغل بهذه العلوم الحديثة واقتصر على العلوم القديمة. فكان كذلك ووضع رحمهُ الله طريقة لهذا الاحصاء. فظهر من بعد البحث الدقيق والتحري السديد الشديد ان نسبة الناجحين في العلوم القديمة المتداولة المقتصرين عليها اقل بكثير من الناجحين فيها من المشتغلين بالعلوم الحديثة معها. وتلي ذلك في مجمع من العلماء يوم توزيع المكافآت على الناجحين بحضور شيخ الجامع واكابر العلماء وظهر من ذلك ظهوراً جليًّا ان العلوم الحديثة العقلية تثقف الطالب وتقويهِ في فهم العلوم الشرعية وغيرها من العلوم المتداولة في الازهر

وقد رأى المرحوم ان الوسيلة في تدريس كل العلوم وتلقيها هي الكتب فلذلك وجه همتهُ الى جمع ما تشتت من كتب الازهر وجعلهِ في مكان واحد (وكلامهُ عن جمع الكتب وانشاء مكتبة الازهر لا يخرج عما نشر عن هذه المكتبة في الجزء الماضي من المقتطف. ثم استطرد الى عنايتهِ بالعربية وبآداب الازهريين ومما قالهُ في هذا الصدد)

"انهُ كان يحب للازهر ان يبلغ الغاية القصوى من الكمالات العلمية والاخلاق الدينية خصوصاً في هذا الزمن الذي انتشرت فيهِ الافكار والمدنية الغربية معلمًا ان الشريعة الاسلامية تنطبق على كثير من العلوم والمعارف والصنائع العصرية وان جوهر الشريعة يطلب من المسلمين المؤمنين الكمالات من كل وجه وانهُ يجب على المسلم ان يكون متحليًا بالفضائل متخليًا عن الرذائل. وكان شديد الحرص على ذلك في كل مجالسهِ ومحادثاتهِ سواء كان مع الازهريين او مع اي طبقة من طبقات الناس" الى ان قال:

"وبالجملة فان مقاصدهُ بالازهر وبالازهريين كانت خيرًا محضًا لا يشوبها شائبة وكانت كلها لوجهِ تعالى وابتغاء ان يترقى اهل هذا المكان المنيف الى ما يحبهُ لهم من كمال الاخلاق وعلو المكانة بين الناس. والحمد لله لم يجعل الله اتعابهُ سدًى بل قد اثمرت وهو حي وانبتت نباتاً حسناً فنجب من شبان الازهر ومن علمائهِ من يقدرون العلم حق قدرهِ ويعملون بعمل الاستاذ وفكرهِ وسيكونون ان شاء الله في المستقبل قدوة حسنة لغيرهم ويصل ثواب ذلك ان شاء الله الى من بذر هذا البذر الحسن وتعهدهُ بالتربية والتغذية"

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

مؤلِّفة ومؤلَّف غريب

ظهر حديثاً كتاب من قلم كاتبة انكليزية بامضاء "أيم" اي فتاة جاوزت سن الزواج ولم تتزوج وعنوانهُ "حقيقة الرجل". وقد تضمن كثيراً من القدح والهزء بالرجال والمبالغة في وصف عيوبهم ومساوئهم ولكنهُ لم يخلُ مع ذلك من الحقائق الراهنة. وقد استشهدت فيهِ على صدق دعاويها بحقائق اوردتها من تاريخها الخصوصي. فقالت انهُ أحبها ثلاثة اميركيين وفرنسويان والماني وارلندي وسويسري وثلاثة اسكتلنديين واثنان او ثلاثة من المستعمرات ولكنها أبت ان تتزوج احداً منهم وأهدت كتابها "الى الرجل الساكن في القمر لعلهُ لا يجزيها عن المعروف بالانكار ولا يقابل الاحسان بالاساءة" وفي اعتقادها ان رجل الارض كثير الصلف والخيلاء قليل الشعور فاقد الرقة والانعطاف وكلما مرَّ يوم اصبحت المرأة اكثر غنىً عنهُ. الى ان قالت "أعطِ المرأة شيئاً تعيش منهُ وتلتهي بهِ وأجرِ عليها رزقاً معلوماً واختر لها نفراً من الاصدقاء الكرام تتسلى بعشرتهم وانظر حينئذٍ ان كانت لا ترضى بالعيش وتقنع بالحياة بلا زوج. وقد اخذت المرأة تتعلم بالمشاهدة والاختبار انهُ يمكنها ان تعيش ناعمة مسرورة بلا محبة الرجل لها مثلما تعيش بمحبتهِ لها. ولو كانت كثيرة الحذر من الزواج مثلهُ لما عُقد في الارض عقد زيجة"

واشدُّ ما كانت وطأتها على الرجل محبًّا وزوجاً وبشرتهُ بمستقبل قاتم وسقوط لا تقال لهُ عثرة بعد ما تظلُّ المرأة الحاضرة مرتقية في سلَّم القوة البدنية حتى يأتي يوم تقذف فيهِ بالرجل الى مركزهِ الحقيقي فيعلم جلية امرهِ. ثم شبهت المرأة بالكلب والرجل بالهرّ في اوصافهما فقالت

"ان للمرأة معظم اوصاف الكلب وللرجل معظم اوصاف الهرّ. فان الكلب يطيع صاحبهُ طاعة عمياء ويخضع لامرهِ بلا تردُّد ولا احجام ويلحس اليد التي تضربهُ. واما الهرُّ فحيوان

ذكيٌّ انوف لا يُكره على عمل ما لا يحبهُ بل يصرُّ على عمل ما يحبهُ هو وما لا يحبهُ صاحبهُ وكثيرًا ما يخدش اليد التي تلاعبهُ . فالرجل مثل الفرّ ينكر كل معروف وجميل ولا يقيم الّا حيث تطيب لهُ الاقامة . ومما يؤيد صحتي ولعنا نحن النساء بالحرير والّا فما يحملنا على الولع بها لو لم تكن تمثل الرجال "

النظافة والصحة

نظافة الجلد . امرٌ وظائف الجلد صيانة الجسم ووقايتهُ فاليهِ تنتهي اعصاب الحس واللمس ومن مسامهِ تخرج بعض مفرزات الجسم فتنتظم درجة حرارتهِ . وفيهِ الغدد العرقية والغدد الزيتية او الدهنية فالاولى لحفظ حرارة الجسم على درجة واحدة والثانية لصيانة الجلد

وصحة الجلد تتوقف على بقاء عملهِ وطرح القشور الجافة منهُ واستبدالها بقشور جديدة . والسبيل الى ذلك ان يكون الطعام ملائمًا والرياضة كافية والاستحمام متواترًا . فان في سطح الجلد ما يزيد على مليونين من المسام تخرج منها بعض فضلات الجسم فاذا تبخّر ماء العرق بقيت المادة السامة على سطح الجلد فاذا لم تُزَل بالاغتسال عاد الجسم فامتصَّ بعضها وسدَّ البعض الآخر مسامَّ الجلد . واذا سدَّ نصف تلك المسام عقب ذلك الموت لا محالة

وقد كان الناس في العصور الوسطى لا يغتسلون فاذا هبَّت من اجسامهم رائحة خبيثة كانوا يتطيبون بالاطياب منعًا لها فكثرت بينهم الادواء والاوباء وامراض الجلد

والاوساخ التي تتراكم على سطح الجلد تسدُّ المسام كما تقدَّم وتبلي الجلد فتظهر البثور والدمامل على سطحهِ والّا كثر العمل على الرئتين او الكليتين او عليها كلها معًا فتتقرَّح وتسوء الصحة

وكثيرًا ما تظهر البثور على الوجه والسبب في ذلك ان الناس يعنون على الغالب بنظافة وجوههم دون ابدانهم فتندفع الفضول الى الوجه لتتصرف منهُ الى الخارج

والحمّام على نوعين او بعبارة اخص للحمام غايتان . الاولى تنظيف الجلد فقط والثانية تنظيف الجلد ومساعدتهُ على طرد الفضول الى الخارج بزيادة حرارتهِ وتفتيح مسامهِ . فلبلوغ الغاية الاولى يغتسل بماء فاتر ثم يصبُّ على الجسم ماء بارد . او يغتسل بماء بارد فقط . وطريقة الاغتسال او الاستحمام هي ان يبلّل الصدر والوجه والعنق اولاً بالماء البارد ثم ما بين الكتفين نازلاً على السلسلة الفقارية وتفرك هذه المواضع جيدًا باليدين ثم يصب الماء على البطن والوركين والظهر والذراعين والساقين وتفرك جيدًا في اثناء ذلك . ثم ينشف الجسم بمنشفة

خشنة وتلبس الملابس حالاً . ويروض الجسم بعد ذلك اما بالمشي او بغيره بحيث يحصل من الحمّام ردّ فعل

والفرك اهمّ ما في الحمّام فان الماء يلين القشور التي تغطي الجلد والفرك يزيلها ويدفع الدم الى سطح الجلد فتسرع الدورة الدموية وينتعش الجسم . والحمّام اليومي يصيّر الجلد ناعم الملمس كالحرير على شرط ان يكون الطعام في اثناء ذلك سهل الهضم حسن الغذاء

اما تنظيف الجلد بزيادة حرارته وتنشيط مساميه فيكون بالحمّام الحارّ والصابون . واذا أُطيل الحمّام كثيرًا أضعف الجسم . ولا بدّ من الراحة بعده والاّ ذهب نصف فائدته سدًى فلذلك يستحسن الاستحمام بالماء السخن قبل النوم . ويجب غسل الصابون جيدًا لانهُ اذا بقي على الجلد اضرّ به

ومن اهم الامور للجسم غسل المعدة اذا كانت معرّضة للاختلال والارتباك وطريقة ذلك ان يشرب العليل كأسًا او كأسين من الماء السخن صباحًا قبل الطعام فتطرد المواد المخاطية المتجمعة فيها وتترك نظيفة مستعدة لقبول الطعام

الرواء . وهو ماء الوجه او ما يسميهِ الافرنج (complexion) وهو يتوقف على شفوف الجلد وصحته وحالة الدم وحسن الطعام . والحمّام مجلبة لشفوف الجلد وصحته ومصلح للدم على شرط ان يكون الطعام حسنًا صالحًا للتغذية

وآفات الرواء اصفرار الوجه وحبّ الصبا والنمش والكلف والتلويح او السّفع وسبب هذا الاخير كثرة التعرض للشمس . واما الاخرى فمنها ما هو خلقي كالنمش ومنها ما سببهُ اهمال الجسم وعدم العناية بهِ . وكلما تقدم الانسان في السن ظهرت الغضون والاسارير في وجههِ وسببها كثرة تحريك الجلد في مكان دون الآخر فكثرة العبوسة وتقطيب الجبين تغضن الجلد ما بين الحاجبين . وكثرة الابتسام تحدث الاسرة فيما يلي الفم والعينين

اما اصفرار الوجه فقد يكون سببهُ بلادة في الكبد او سوء التغذية وعلاجهُ تنظيم امر الاكل والاستحمام والرياضة والتنفس العميق . وليكن الطعام خضرًا واثمارًا . وليشرب العليل كاس ليمونادة بلا سكر قبل النوم . واذا كان مصابًا بعسر الهضم ايضًا فليأكل مرتين في اليوم فقط الاولى الساعة العاشرة صباحًا والثانية الساعة الرابعة بعد الظهر

واما الكلف فسببها اختلال في بعض وظائف الجسم مثل امتصاص الجسم لمفرزاته او عدم انتظام الكبد . وعلاجها تنطيل الوجه وذلك بان توضع قطعة من الفلانلا فوق بخار الماء ثم توضع على الوجه حتى تبرد . ويكرر ذلك مرارًا ثم يغسل الوجه بماء بارد اذيب فيهِ بعض

كريونات الصودا ويدهن بزبدة غير مملحة او فازلين او زيت حلو . ودهن جوز الهند افضل الادهان لذلك

واما التاويج فيعالج بالدهن بزيج مؤلف من زيت الزيتون وماء الكلس على نسبة واحدة

اثاث غرفة المائدة

اذا كانت غرفة المائدة متجهة الى الجنوب وفيها بساط يغلب فيهِ اللون الاخضر والازرق ومائدتها وخزائنها وكراسيها من خشب الاكاجو الاحمر وجلدها بني وجب ان تبطَّن جدرانها بورق بني لهُ حواشٍ يغلب فيها اللون الاخضر والازرق والنحاسي وان يكون لون ستائرها نحاسيًّا ولن تكون آنيتها المعدنية من النحاس ويصبغ الخشب الذي فيها بلون بني . وكذا اذا كان خشب المائدة والخزائن والكراسي من الجوز . واما اذا كان الخشب من السنديان وجب ان يكون لون البساط كثير الخضرة وكذلك لون ورق الجدران او دهانها ويكون في الحواشي ازهار وردية وجلد الكراسي اخضر او زيتيًّا

العسل في البيت

كان القدماء يكثرون من اكل عسل النحل . فلما كثر السكَّر ورخص ثمنهُ قلَّ استعمال العسل جدًّا وقلَّت تربية النحل ايضًا وهذا خطأٌ لان عسل النحل احلى من السكر واطيب منهُ طعمًا واكثر منهُ نفعًا هذا من حيث كونهُ طعامًا . ولهُ فوائد اخرى فانهُ يلين الجلد اذا دهن بهِ الوجه واليدان واكثر الادهنة المستعملة لتليين الجلد قوامها العسل

تعليم الاولاد التوفير

ملكة التوفير من اهم الملكات التي يجب ان يربَّى عليها الصغار فلا بدَّ لك من ان تعطي ولدك قليلاً من النقود وتعلمهُ ان يعرف قيمتها وذلك بان تدعهُ يصرف بعضها ويوفر بعضها فاعطهِ مثلاً غرشًا كل اسبوع واشترِ لهُ صندوقًا صغيرًا يضعهُ فيهِ ويصرف نصفهُ بمشترى شيءٍ يحبهُ او يفيدهُ ويوفر نصفهُ ومتى وفَّر عشرة غروش او عشرين غرشًا فدعهُ يضعها في صندوق التوفير في البوسطة او في بنك من بنوك التوفير . وكلما توفَّر معهُ خمسة غروش دعهُ يضعها فوقها فيصير يوفر من نفسهِ . ولكن التوفير وحدهُ لا يكفي لئلاَّ يصير بخيلاً فعلمهُ ان يشتري بعض ما يوفرهُ شيئًا مما يحتاج اليهِ او يدفعهُ احسانًا لفقير او ثمنًا لهدية يهديها الى صديق لهُ فيربي على صفتين شريفتين الاقتصاد من جهة واستعمال المال في ما يصلح استعمالهُ لهُ من جهة اخرى فلا يشب مبذرًا ولا مقترًا

قلي سمكة موسى

وصفت الجريدة الانكليزية المسماة عالمَ المرأة كيفية قلي سمكة موسى قالت : اغسل السمكة جيداً واقطع رأسها وزعانفها وذنبها ولتّها بالدقيق حتى تنشف واضرب بيضة حتى تمتزج جيداً وغطّ السمكة فيها ثم لتّها بمدقوق الخبز المحمّص واقلها قليلاً في مقلاة صغيرة كثيرة الزيت او السمن ثم صب الزيت او السمن عنها وانقلها الى مقلاة كبيرة فيها صاصة وضعها على نار خفيفة ربع ساعة ثم صبها في صحن وكلها مع الفطر او الخضر المطبوخة . والصاصة المشار اليها تصنع من الزبدة والبصل والجزر والدقيق والماء تسخن اوقية ونصف من الزبدة يضاف اليها نصف جزرة مفرومة فرماً رفيعاً ثم بصلة صغيرة مفرومة ومتى قلي البصل وصار لونهُ اصفر ذهبيًّا اضف اليهِ اوقية ونصفاً من الدقيق ثم فنجاناً كبيراً من الماء واغلهِ جيداً واضف اليهِ ما يكفي من الملح والبهار . ويحسن ان تضيف الى الماء نصف معلقة من مربّى الطماطم

باب التقريظ والانتقاد

تاريخ الدولة العلية

أُهدي الينا كتاب " التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية " لحضرة مؤلفهِ الفاضل ابرهيم بك حليم منتش اوقاف دمنهور . وهو يتضمن تاريخ سلاطين آل عثمان وما تمّ على ايديهم من الفتوحات وما جرى من الحروب وما عقد من المعاهدات بينهم وبين سائر الدول واسماء معاصريهم من الملوك والامراء من عهد السلطان عثمان الاول مؤسس الدولة العثمانية الى عهد سلطانها الحالي

والكتاب كبير فيهِ نحو ٢٥٠ صفحة ومطبوع في مطبعة ديوان عموم الاوقاف . وحبذا لو عني حضرة مؤلفهِ العناية الكافية بتصحيح عبارتهِ وروايتهِ لان كتاباً مثل هذا جدير بان يكون اماماً للعثمانيين في معرفة تاريخ دولتهم

واننا نورد المثال التالي من هذا الكتاب للدلالة على قلّة ما فيهِ من الدقة في سرد الوقائع التاريخية قال

"وفي سنة ١٨٥٦ اهتم محمد علي باشا وابنهُ ابرهيم باشا بالحرب وظنا ان موت السلطان محمود وجلوس السلطان عبد المجيد يكونان سبباً لاتمام انتصاراتهما فرست الدولة دونانمة عظيمة الى مينا وسواحل اسكندرية واحالت ادارة ولاية مصر موقتاً على محمد باشا عزت فاستولت الدونانمة على قلاع جونيه وصيدا وسوريه وانتصرت عساكر الدولة براً على ابراهيم باشا. فلما رأى ذلك مير بشير رئيس المشايخ ترك مساعدة ابراهيم باشا وانضم الى عساكر الدولة وكذلك اهالي ومشايخ جبل لبنان والشيخ احمد بك شيخ العربان ثم استولت عساكر الدولة على قلاع صيدا وعكا وطرابلس وحما وحمص . اما من جهة الدول فان انكلترا واوستريا والروسيا وبروسيا قطعوا العلاقات مع محمد علي باشا بل ان انكلترا اظهرت المساعدة للدولة ثم بواسطة المذكورين وتعهداتهم بعدم عصيان محمد علي باشا مرة اخرى تم الصلح على ما هو معلوم فبناء عليهِ عادت دونانمة الدولة السابق تسليمها الى محمد علي باشا الى الاستانة كما كانت"

فليقابل القارئ ذلك بما هو معلوم من حروب ابرهيم باشا في بلاد الشام ومساعدة الدول الاوربية للدولة العلية كما سنبينهُ في الجزء التالي من المقتطف

الكلية الشرقية

أُهدي الينا كتاب الكلية الشرقية لسنة ١٩٠٤ — ١٩٠٥ . وهي الكلية التي انشأتها الرهبانية الكاثوليكية في مدينة زحلة بلبنان سنة ١٨٩٨ . وهو يشتمل على مقدمة في مختصر تاريخها وعلى قوانينها واشغالها المدرسية واسماء اساتذتها وتلامذتها ودوائرها وترتيب صفوفها. وفيهِ ثلاث صور لها من جهات مختلفة. ويظهر منهُ انها سائرة في مقدمة المدارس العليا بهمة اساتذتها ومديريها فندعو لها بالتقدم والنجاح

تاريخ بطرس الاكبر ومحاكمة الكسيس

الاثر النفيس في تاريخ بطرس الاكبر ومحاكمة الكسيس من قلم عزتلو وهبي بك مدير مدرسة الاقباط الكبرى وناظر المدارس القبطية . وهو ثلاثة ابواب الاول في تاريخ مصر من عهد مينيس الى هذا العصر . والثاني في ملخص تاريخ بطرس الاكبر . والثالث في محاكمة الكسيس وهو رواية محزنة ذات خمسة فصول نثرية وشعرية . ويلي ذلك خاتمة الكتاب في خلاصة تاريخ الروس بعد وفاة بطرس الاكبر الى هذا اليوم . والكتاب حسن اللغة صحيحها مثل كل ما ينشئهُ حضرة مؤلفهِ . فنشكر لهُ غيرتهُ على نشر الآداب

حقوق المرأة في الاسلام

وضع هذا الكتاب حضرة احمد بك اجايف من كتّاب الروس وعرّبهُ حضرة الاديب سليم افندي قبعين وقدّمهُ الى حضرة القاضي الفاضل عزتلو قاسم بك امين صاحب كتاب تحرير المرأة وقال في مقدمتهِ انهُ احتمل مشاق تعريبهِ والانفاق على طبعهِ ليطلع عليهِ اخوانهُ من مسلمي الشرق فيعلموا ان الناشئة الاسلامية في روسيا تشكو نفس شكوى الناشئة الاسلامية المصرية من سوء حالة المرأة المسلمة وحرج مركزها في المجتمع الانساني

هذا وقد رأينا ان ننقل الفصل الآتي من هذا الكتاب المستطاب اظهاراً لفضل المؤلف والمعرب وايضاحاً لاسلوبيهما في الانشاء والترجمة وتعميماً لما فيهِ من الفوائد : —

"ونحن الآن نترك البحث فيما وصلت اليهِ حالة المسلمين ونأخذ بتلابيب مسألة المرأة وعلاقة الاسلام بها من الوجهة العملية او بعبارة او ضح نبحث فيما جاء في الديانة الاسلامية من التعليم بخصوص المرأة ونعرّف القارئ بالحالة التي وجد فيها محمد المرأة في البلاد العربية خصوصاً والشرق عموماً ثم ننتقل بعد ذلك الى البحث فيما صنعهُ للمرأة او فيما حاول صنعهُ لها على الاقل . واظن ان هذه الطريقة تؤدي الى امكان معرفة ما ستؤول اليهِ حالة المرأة المسلمة في المستقبل عند ما يفتح الله بصيرة المسلمين ويكشف لهم عن نور الحقيقة فيدركون جوهر دينهم ويفهمونهُ فهماً حقيقياً كما هو . ومن جهة اخرى ارجو ان ادحض تلك المثالب التي ينسبها للاسلام اولئك العلماء والباحثون المجردون عن الانصاف الذين يستسلمون للاغراض والاهواء النفسانية فيصدرون احكاماً سطحية تكذبها الحقيقة الراهنة كاتهامهم الاسلام مثلاً باحداث امر تعدد الزوجات

ان حالة المرأة في البلاد العربية والمتاخمة لها قبل ظهور الاسلام كانت حالة مؤلمة لا يرضاها من كان في فؤادهِ اقل شعور حي . ففي بلاد فارس لم تكن المرأة تمتاز في شيء عن الامة او العبدة الرقيقة فكانت تقضي جميع ايام حياتها مسجونة ضمن جدران منزلها لا يسوغ لها ان تخرج منهُ مطلقاً او تجيل بصرها في فسيح الفضاء . وقد اباحت نظامات البلاد المدنية بيع وشراء النساء كالسلع[1] واما نظامات البلاد الدينية فقد اباحت الزواج بالامهات والاخوات والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت[2] . ثم انهُ في الادوار الطبيعية المشهورة التي

(١) راجع كتاب (شاه نامه) للفردوسي

(٢) "Zende Avesta" Iames Dermerterer.

تحدث للمرأة كانت نساء الفرس يُبعدن عن المنازل ويقمن في خيام صغيرة تضرب لهن في ضواحي المدينة او البلدة ولا يجوز لاحد مخالطتهن قطعاً (وتعرف تلك الخيام المخصصة لاقامة النساء في ايام الطمث باسم داخمي) حتى انهُ كان يجب على الخدام الذين يعهد اليهم تقديم الطعام والشراب لهن ان يلقُوا مقدم انوفهم وآذانهم وايديهم بلفائف من القماش الغليظ وكانوا يتحفظون بمثل هذا التحفظ لانهم كانوا يعتقدون انهم يتنجسون اذا مسوهن او مسوا الخيام او الاشياء المحيطة بهنّ حتى الهواء[1] وكانوا يكرسون بنات الاشراف والملوك للالاهة اناخيدا المشهورة حيث كان كهنتها يتممون عليهنّ بعض الفروض المخصوصة ويعدونهن بتعاليم خاصة الى الزواج[2] واما بشأن حقوق المرأة ومركزها في العائلة ونسبتها الى زوجها ووالديها فحدث ولا حرج فان النساء كن في بلاد فارس تحت سلطة الرجل المطلقة الذي كان يحق لهُ ان يحكم عليها بالموت او ينعم عليها بالحياة طبقاً لما يراهُ وتطيب لهُ نفسهُ وبوجه عام فانهُ كان يتصرف بها كما يتصرف بسلع وادوات بيتهِ

واما حالة المرأة في البلاد العربية فكانت اشد صعوبة واتعس حالاً منها في بلاد فارس فكان العربي يتطير اذا ولدت لهُ ابنة وترتعد فرائصهُ جزعاً ويعد ذلك علامة على عدم رضى الالهة عنهُ[3] فكان اما ان يئد بناتهِ في الرمل او يبيعهن بيع الرقيق او يستبدلهن ببعض الحيوانات الاهلية[4] واما الزواج عند العرب فلم يكن لهُ نظام مخصوص محدد ببعض الفروض او مقيد بعادات متبعة بل كان يحدث بطريق المصادفة ولم يكن احد الزوجين ملزماً بدفع بائنة او شيء من الاشياء. ويظهر للباحث ان اخلاق العرب البدوية وما اتصفوا بهِ من البسالة والشجاعة والفروسية كانت السبب الوحيد في عدم تقييد الزواج باصول متبعة . والغالب ان الزواج كان يحدث من طريق الحب الاختياري المقرون بالتغزل والقصائد الشعرية وبدائع النسيب وفي جميع احوالهِ كانت الحرية مطلقة للزوجين ان يترك احدهما الآخر متى شاء واراد والامر الوحيد الذي كان يربط الاتحاد الزوجي انما هو الخوف من انتقام اقارب المرأة الاشداء البأس . وقد وصف ذلك أحسن وصف في الرواية الآتية الطبري المؤرخ العربي المشهور[5]

في واقعة احد التي وقعت بين اهل مكة وصحابة النبي محمد اهل المدينة خرجت نساء المكيين الى ساحة القتال وراء ازواجهن وكانت ترأسهن هند بنت عتبة زوجة ابي سفيان

(١) ليد (٢) راجع كتاب (المملكة العربية السابقة) لروبرتسون
(٣) راجع كتاب (الاسلام ومؤسسوه) لجون شولر (٤) راجع كتاب (البلاد العربية قبل الاسلام) للمانوف (٥) الطبري صحيفة ٣٦٥ طبع القاهرة

وقد قامت في النسوة اللاتي معها واخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم فقالت هند فيما تقول

ويها بني عبد الدار ويها حماة الادبار ضربا بكل بتار

وتقول ايضاً ان تقبلوا نعانق ونفرش النمارق

او تدبروا نفارق فراق غير وامق

وكان تعدد الزوجات لدى ظهور محمد منتشراً انتشاراً هائلاً فلم يكن عربي ميسور الأ وتراهُ متزوجاً ١٥ او ٢٠ واحياناً ١٠٠ زوجة[1] وكانت المرأة محرومة من جميع الحقوق على الاطلاق وحالتها لما يرثى لها فلم يكن لها حق بالارث عن زوجها او احد اقاربها من الرجال[2] وكانت عندهم عادة مقدسة معمول بها تخول الوالد حق التصرف ببنتهِ كيفما يشاء فكان يزوجها لشخص وهي رضيعة في المهد فاذا ما تمت وبلغت سن الرشد لا تستطيع المعارضة بل يتحتم عليها ان ترضخ رضوخاً اعمى لاحكام والدها عليها[3]

اما النبي محمد فانهُ نادى في بدء ظهورهِ بضرورة ازالة تلك العادات الهمجية البربرية المتبعة مع النساء وكان يتأثر اشد التأثر لحالة المرأة وما هي عليهِ من الانحطاط والامتهان ولم يكن فؤادهُ الرقيق يتألم ويتأثر ايضاً لشيء مثلما يتأثر مما كان يرادُ من حالة المرأة السيئة المتروكة دون اقل اهتمام وليس لها عضد او نصير وكذلك كان يتألم لرؤيتهِ الاطفال والاولاد الذين يتركهم والدوهم ومثل ذلك الغرباء الذين لا مأوى لهم. والمطلع على ما ورد في القرآن الكريم من الآيات البينات بشأن النساء والايتام والغرباء لا يفتأ حتى يتقطع فؤادهُ المًا وجزعاً لما تضمنتهُ تلك الآيات من الكلام المؤثر الشديد اللهجة. وقد خصصت في القرآن سورة طويلة للنساء معروفة بهذا الاسم وهي تدل دلالة واضحة على الاهمية الكبرى التي اظهرها محمد بشأن مسألة المرأة وتبتدئ تلك السورة بآية لم يكن ينتظر سماعها رجال العرب وعدوا ذكرها جرأة عظمى وهي: "يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة". ان كلمات هذه الآية اشتم منها العرب الوثنيون رائحة الاضطراب والثورة المقصود بها القضاء على سننهم وتقاليدهم وعاداتهم واخلاقهم وافكارهم وافهامهم ولكن اذا نظرنا الى كلمات تلك الآية من وجهة اخرى نجد انها توجه الى العرب عبارات التوبيخ والملام المملوءة بالعار والشنار وتفهمهم ان الرجل والمرأة مخلوقان من نفس واحدة وانهما متساويان في كل شيء ومسؤولان امام الله على

(١) انظر كتاب معة الصادقين في تفسير القرآن للملا فتح الله ص. ٣٣٣ وما بعدها
(٢) تفسير القرآن للملا فتح الله ص. ٣٣٣ وما بعدها (٣) ابن خلدون

انسواء عما يفعلانهِ . وبعد ذلك يقص القرآن كيف خلق الله آدم وحواء واورد تلك القصة كما جاءت في التوراة بتغيير طفيف لايذكر ونحن لانتمسك كثيراً بآيات هذه السورة التي نزلت خاصة للرأة لانها لم تجيء مترادفة بين تخللتها آيات كثيرة خاصة بالتعليم عن القداسة والاعمال الطيبات واغاثة الملهوف وحماية الغرباء والرفق بالايتام وغير ذلك . ثم ان القرآن وقف وقفة المدافع الشجاع ضد عادة العرب الهمجية الا وهي وأد البنات في الرمل وقد ورد الكلام عنها دفعتين في الاولى مثل للقارىء حالة جهنم المخيفة ونيرانها الملتهبة وافاعيها المتصاعدة من افواهها النيران المحرقة ثم اقام امام عيني العربي بنتهُ الموؤودة تقول لهُ (واذا الموؤودة سئلت بأي ذنب قتلت) وفي الدفعة الثانية يصف جنة الخلد وصفاً مؤثراً ثم اتبعهُ بالآية القائلة (ولا تقتلوا اولادكم) وفوق هذا وذاك فان محمداً لم يدع في حياتهِ احداً يئد بنتاً واجتهد اجتهاداً عظيماً لنزع هذه العادة من بين العرب ولم يقف عند هذا الحد بل زرع في قلوبهم هول وفظاعة هذا العمل الشنيع . وبعد فتح مكة ودخول اهلها الوثنيين في الاسلام كان من جملة الشروط عليهم ان يقسموا الايمان الغليظة بعدم وأد بناتهم (١)

وعدا ذلك فقد وصلت الينا جملة احاديث نبوية تتضمن الكلام بخصوص المرأة ورفع منزلتها في عيون العرب ففي احدها جاء ما مضمونهُ (ان ولادة البنت علامة من علامات نعم الله ومراحمهِ)

ووردت ايضاً احاديث اخرى بشأن الاولاد الذين يموتون كيف انهم يشفعون بوالديهم ويكونون وسيلة لادخالهم الجنة فنذكر بعضها اتماماً للفائدة

اخرج ابو نعيم في الحلية عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليهِ وسلم قال : "ذراري المسلمين يوم القيامة تحت العرش شافعين ومشفعين"

واخرج حميد بن زنجون ومسلم وابو نعيم عن حسان قال قلت لابي هريرة توفي لي ابنان فحدثني شيئاً سمعتهُ من رسول الله صلى الله عليهِ وسلم تطيب بهِ انفسنا عن موتانا قال "صغارهم دعاميص الجنة يلقى احدكم اباهُ فيأخذ بصفة ثوبهِ كما اخذت بصفة ثوبك فلا ينتهي حتى يدخلهُ الله واياهُ الجنة"

وروى ابو النضر السلمي ان رسول الله صلى الله عليهِ وسلم قال : "لايموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم الا كانوا لهُ جنة من النار"

واخرج البخاري والنسائي وابن ماجة عن انس قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم "ما من

(١) الطبري ص ٢٧٠ طبع مصر

الناس يموت لهُ ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث الاَّ ادخلهُ الله الجنة بفضل رحمتهِ اياهم (١)

ومنها ايضاً . روى ابو هريرة عن شيخ من بني تميم عن عمر بن ابي بكار عن محمد بن ابي فراس عن احمد بن الهيثم بن فراس بن خلف بن المرزبان قال ان قيس بن عاصم دخل على رسول الله صلى الله عليهِ وسلم وفي حجره بعض بناتهِ يشمها فقال لهُ ما هذه السخلة تشمها فقال هذه بنتي فقال والله لقد ولد لي بنون ووأدت بنيات ما شممت منهن انثى ولا ذكرًا قط فقال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم فهل الاَّ ان ينزع الله الرحمة من قلبك (٢)

وقال النبي ايضاً في بعض كلامهِ (الجنة تحت اقدام الامهات) (٣) . وبعد ان رفع النبي محمد كما قدمنا منزلة المرأة الادبية خولها حقوقًا واسعة لم تخطر على بال احد من المشرعين العصريين كالفرنسويين مثلاً او سواهم

ان البنات بحسب الشريعة المحمدية يرثن عن آبائهن وامهاتهن ثم ان الشريعة حرمت على الوالدين السلطة المطلقة على البنات فلا يستطيعون التصرف بشؤونهن قبل بلوغهنَّ سن الرشد وبعد ان تبلغ البنات الرشد يجوز لهنَّ التزوج بمن يخترنهُ لنفوسهنَّ بعلاً بقطع النظر عن موافقة والديهنَّ . والزواج بدون ارادتها يعد لاغيًا فاسدًا غير شرعي وهنَّ يتمتعنَّ بجميع الحقوق المدنية ويستطعنَ الاشتغال باية مهنة شريفة يردنها ويعقدن السندات سواء لهنَّ او عليهنَّ (٤) ثم ان الشريعة السمحاء خولت المرأة المتزوجة جميع الحقوق المدنية فهي تدير شؤونها وممتلكاتها بنفسها مستقلة بذلك عن زوجها الذي لا يحق لهُ ان يلزمها بعمل امر من الامور قط عدا ارضاع اطفالها وانما هي مرغمة لزوجها بالعفة المطلقة والطاعة ضمن حدود معلومة واذا شاءت الاعتناء بتدبير شؤون منزل زوجها وممتلكاتهِ فانما تأتي ذلك مخيرة يدفعها الى ذلك حبها الحقيقي لهُ . ثم ان كل خصام يحدث بينهما ينبغي ان ينظر ويحل بواسطة مؤتمر عائلي مؤلف من حكم من اهلهِ وحكم من اهلها قال الله تعالى " وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكمًا من اهلهِ وحكمًا من اهلها ان يريدا اصلاحًا يوفق الله بينهما " والشريعة السمحاء خولت للنساء حق الارث عن ازواجهنَّ واولادهنَّ . وامرت الشريعة ايضاً بان يكون عقد الزواج مبنيًا على الحب الحقيقي فقال جل شأنهُ "فانكحوا ما طاب لكم من النساء" وهو مؤسس على فروض شرعية مقدسة تجعلهُ محترمًا معلومًا لدى الجميع وقد جاء في القرآن الكريم" ومن آياتهِ ان خلق لكم من انفسكم ازواجًا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودَّة ورحمة " . اجل انهُ

(١) الاحاديث الشريفة المذكورة مأخوذة عن رسالة المجلد عند فقد الولد للسيوطي

(٢) ابو الفدا . كتاب الاغاني (٣) ارنست رنان في كتابهِ تاريخ الاديان (٤) مجمع القوانين

يسوغ نقض عقد الزواج لان الشريعة اباحت الطلاق وانما ضمن حدود معلومة حيث ينبغي ان يكون مبنيًا على اسباب شرعية ويحتم على الرجل في جميع احوال الطلاق (ما عدا طلاقهُ زوجتهُ بسبب خيانتها وعدم صون عرضها) ان يدفع لها نفقة العدة لمدة ثلاثة شهور على الاقل. واباحت الشريعة للمرأة المطلقة ان تبقي لديها اولادها الصغار وفي مثل هذه الحالة حتمت على الرجل ان يدفع لها نفقة لتنفقها على تربية الاولاد. قدمنا ان الشريعة اباحت الطلاق ولكنها من جهة اخرى حقرتهُ وابغضتهُ فقد جاء في الحديث الشريف "ابغض الحلال عند الله الطلاق" ثم ان الشريعة حتمت على الازواج ان يعيشوا مع زوجاتهنَّ على اتم وفاق ووئام قال الله تعالى "وعاشروهنَّ بالمعروف فان كرهتموهنَّ فعسى ان تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيهِ خيرًا كثيرًا وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهنَّ قنطارًا فلا تأخذوا منهُ شيئًا أتأخذونهُ بهتانًا واثمًا مبينًا وكيف تأخذونهُ وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقًا غليظًا". ثم انهُ يحتم على الازواج ان يتساهلوا مع زوجاتهنَّ ويصفحوا حتى عن الزوجة التي تسقط في الضلال وتمزق شعار طهارتها وعفتها. ثم اوضحت الشريعة ايضًا بانهُ لا يجوز ادانة الزوجة بالزنا لمجرد الشك او التهمة او السماع وانما ينبغي ان ينظر قضية ادانة الزوجة بالزنا مجلس عائلي يثبت من الامر بشهادة اربعة شهداء عدول مشهود لهم بطهارة الذمة والامانة وعدم الميل لغرض من اغراض القضية المرفوعة وقبل اصدار الحكم يدعوها المجلس الى التوبة والرجوع عن غيها وضلالها قال الله في كتابهِ العزيز

"واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهنَّ اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهنَّ في البيوت حتى يتوفاهنَّ الموت او يجعل الله لهنَّ سبيلاً واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابًا رحيمًا"

افليس هذا الكلام يطابق كل المطابقة لتعليم نبي الله الآخر (عيسى) عن المرأة الزانية او ليس ايضًا كان سماع مثل هذه الآيات البينات صعبًا على اولئك الاعراب البرابرة المتوحشين الذين كانوا يرجمون نساءهم بالحجارة لاقل حادث او اثم بسيط[1]

ولننتقل الآن الى الكلام على تعدد الزوجات فقد سبق لنا القول بانهُ عند ظهور النبي كان امر تعدد الزوجات منتشرًا انتشارًا هائلاً في البلاد العربية والبلاد المجاورة لها ولم يكن في الامكان ازالة هذه العادة التي رسخت في انئدة القوم منذ اجيال عديدة ويظهر ان تلك العادة كانت من مطالب الحياة الضرورية لاهل الشرق ولا يمكنهم ان يستغنوا عنها او يعيشوا

(1) ابن خلدون

بدونها وينسبون اسباب انتشارها بين الشرقيين الى المناخ وتركيب بنية اجسامهم ولكن مع ذلك فقد اصلح الاسلام هذه العادة وصنع كثيراً للشرق بشأنها فقد عين اولاً بان عدد الزوجات الشرعيات ينبغي ان يكون اربعة وحصر هذا التعيين ضمن حدود معلومة يصعب على الانسان تعديها او القيام بما جاء فيها ولذلك فاذا تأملناها فاننا نجدها تفضي الى الزواج بواحدة . ورأس هذه الحدود انهُ يتحتم على الرجل ان يعدل بين جميع زوجاتهِ ونحن ايضاحاً لذلك نكتفي بايراد مجمل اقوال المفسرين لكلمة "العدل" كالامام فخر الرازي والملا فتح الله وغيرهما : ينبغي على الرجل ان يطلق العدل ليس فقط على علاقاتهِ الخارجية مع زوجاتهِ اي الاتفاق عليهنَّ على السواء كلا بل يجب على الرجل ان يعدل في محبتهِ بين نسائهِ وهل هذا امر مستطاع يا ترى ؟ وقد اجاب القرآن الشريف على هذا السؤال بقولهِ تعالى "ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا او تتقوا فان الله كان غفوراً رحيماً" ولذلك كان العدل بين النساء من رابع المستحيلات يؤدي بالذين يتزوجون باكثر من واحدة الى ارتكاب الخطيئة وتعدي حدود الله فما العمل ايضاً لقاء هذا الامر . وعلى هذا السؤال ايضاً يجيب القرآن الكريم بقولهِ تعالى "فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم . ذلك ادنى ان لا تعدلوا"

ان الآيات التي اوردناها تدل دلالة واضحة على ان الاسلام مؤيد للزواج بواحدة وهذا امر مما لا ريب فيهِ وانهُ سيأتي يوم عند ما يدرك المسلمون فيهِ روح دينهم وجوهرهُ سينبذون عادة تعدد الزوجات ويقبلون من تفوسهم على امر الاكتفاء بزوجة واحدة ولذلك فيخطئ كتَّاب الاوربيين خطأً جسيماً باتهامهم القرآن ومحمداً بعداء نصف الجنس البشري اي المرأة ويخطئون ايضاً بنسبتهم جمود المسلمين ونقائصهم الى الدين مع انهم لو انصفوا ونطقوا بالحقيقة المجردة عن كل غرض سيء لرأوا ان هذه النقائص وجدت من نفسها في العالم وان دين اولئك الكتاب اي النصرانية يقاومها مقاومة عنيفة متواصلة اما القرآن فقد قام بعمل خطير جداً فانهُ رفع شأن المرأة واعلى منزلتها وخولها حقوقاً لم يسمع بمثلها في الشرق مطلقاً فانهُ جعلها اماً وزوجة بعد ان كانت امة ليس لها كرامة او مقام معروف ، وقد ادركت النساء مقدار الحقوق التي خولتها اياها الشريعة الغراء فتمسكت بها وحافظت عليها ودافعت عنها دفاعاً شديداً ولم تخشَ بسببها بأس احد يدلنا على ذلك الرواية الآتية التي رواها الملا فتح الله في تفسير القرآن العزيز حيث جاء فيهِ ما نصهُ : بعد وفاة النبي وقف ذات يوم الامام عمر في المسجد يخطب في الناس واظهر في خلال خطبهِ انهُ يروم ابطال عادة دفع المهر للزوجة فقامت احدى

النساء الحاضرات في المسجد وخاطبت الخليفة بصوت جهوري قائلة : يا امير المؤمنين انك لا تستطيع ان تحرمنا ما انعم بهِ علينا الله ورسولهُ فرجع الخليفة عن عزمهِ . انتهى

جواهر البلاغة

اهدى الينا حضرة الاديب احمد افندي الهاشمي مراقب مدارس فكتوريا الانكليزية في القاهرة نسخة من كتاب ألَّفهُ حديثاً وسماهُ " جواهر البلاغة " في المعاني والبيان والبديع والعروض والقوافي وفنون الشعر الثلاثة عشر . وهو على مثال الكتب التي من موضوعهِ في تبويبهِ وتقسيمهِ وتقديم بعض مباحثهِ وتأخير الآخر ولكنهُ ربما فاقها في حسن طبعهِ وما في آخر كلّ فصل من التمرينات التي لا غنى للدارس عنها لفهم ما ورد في الفصول

وقد أكثر من الشواهد تحت بعض الانواع مثل حسن التعليل من المحسنات المعنوية والجناس من المحسنات اللفظية . فأورد من الاول مثلاً قول ابي هلال العسكري

زعم البنفسج انهُ كعذارهِ حسناً فسلوا من قفاهُ لسانهُ

وقال في تفسيرهِ "لخروج ورقة البنفسج الى الخلف لا علة لهُ لكنهُ ادّعى ان علتهُ الافتراء"

واورد من الجناس اللفظي قول ابي فراس

ما كنت تصبر في القديم فلمْ صبرت الآن عنّا
ولقد ظننت بك الظنون لانهُ من ضنّ ظنّا

ومن الجناس المعنوي قول احدهم

منعم الجسم تحكي الماء رقتهُ وقلبهُ قسوةً يحكي أبا أوس

فقال في تفسيرهِ " واوس شاعر من شعراء العرب واسم ابيهِ حجر فلفظ ابي اوس يحضر في الذهن اسمهُ وهو حجر وهو غير مراد وانما المراد الحجر المعلوم "

ويلي البديع العروض وتحتهُ ابواب في بحور الشعر المختلفة . ثم القوافي وفنون الشعر الملحقة بالبحور كالتشريع والتشطير والتخميس والجارية على ألسنة العامة كالزجل والمواليا . ويلي ذلك كلهُ خاتمة في السرقات والمحاضرات الشعرية

قلنا ان طبع الكتاب حسن وانما ينقصهُ شكل ما ورد فيهِ من الابيات والشواهد الشعرية التي قد تلتبس على المتعلم . لكن ذلك لا يقدح في فضل مؤلفهِ فلهُ منا عاطر الثناء

الارشادات الوفية في القضايا الشرعية

الّف هذ الكتاب حضرة الاديب عبد المجيد افندي البيومي الكاتب في محكمة مديريّة البحيرة الشرعية . وهو يحتوي على فصول مختلفة في دعاوي النكاح والصداق والجهاز والطلاق والنفقة والوقف والولاية والرشد والارث والوصية وما اشبه . وقد قرظهُ حضرة الفاضل الشيخ علي هاني مفتي مديرية البحيرة فقال انهُ نافع في الغرض المطلوب من الاحكام

حسناء نيويورك

رواية ادبيّة فكاهية عرّبها عن الانكليزيّة حضرة نجيب افندي جرجس عبدالله واعتنى باصلاحها حضرة اسعد افندي ملحم وكلاهما من السوريين المهاجرين الى الولايات المتحدة الاميركية وهي تفضل كثيرًا من الروايات التي تتداولها الايدي الآن في لغتها وطبعها فانها سهلة العبارة صحيحة اللغة عمومًا ومطبوعة طبعًا حسنًا على ورق جيد فنثني على حضرة معربها ومصلحها ونتمنى لها الانتشار

باب الزراعة

العدس المصري

من مقالة للمستر بونابرت من اساتذة مدرسة الزراعة الخديوية

العدس نبات معروف وحبوبهُ كثيرة الاستعمال في هذا القطر والقطر السوري وكان يطبخ ويؤكل فيهما منذ الوف من السنين . قال المسيو ده كندول النباتي الشهير انهُ كان يزرع في اسيا و بلاد اليونان وايطاليا قبل زمن التاريخ ونقلت زراعتهُ منها الى القطر المصري

ويزرع العدس الآن في المانيا وفرنسا وجنوبي اوربا وجانب كبير من اسيا ولاسيما في الهند . وزراعتهُ واسعة نوعًا في القطر المصري ولاسيما في الوجه القبلي وحبوب العدس المصري صغيرة سمراء كثيرة الغذاء ولاسيما اذا قشرت فيها نحو ٢٥ في المئة من المواد الالبومينية

و ٥٨ في المئة من النشاء ودرجتها في الغذاء ٨٧

والعدس الذي يُستغَلّ من القطر المصري يؤكل فيهِ ولا يصدر الّا القليل منهُ واكثر الصادر يرسل الى البلاد الانكليزية وسائر اوربا وتوكيا

الارض الصالحة لهُ — يزرع العدس في كل الاطيان . والاطيان التي لا يجود فيها القمح والفول كالخفيفة والجديدة يجود فيها العدس ولكنهُ يجود بنوع خاص في الاراضي الطينية الرملية الجافة التي فيها شيء من الجير

اعداد الارض — اذا زرع العدس في حياض الوجه القبلي فلا تحرث الارض لهُ بل يزرع فيها ملقًا فيبذر على الارض بعد نزح الماء عنها كما تبذر الحنطة ثم تحرث واما في الوجه البحري فتحرث الارض مرةً ويبذر فيها بمعدل اربع كيلات للفدان ثم تحرث

وهناك زراعة ثالثة وهي زراعة العتر تحت الذرة فانهُ يبذر تحت الذرة والارض مروية ويترك الى ان تجف الذرة وتقطع فيروى مرة او مرتين

وقت الزرع — في الوجه القبلي في اواخر اكتوبر ويتاخر الزرع في الوجه البحري الى نوفمبر من ١٥ الى ٣٠ منهُ

الخدمة — اذا زرع في حياض الوجه القبلي فلا يحتاج الى شيء واذا زرع في الوجه البحري يروى مرتين غالبًا المرة الاولى قبلما يزهر والثانية حينما يعقد زهرهُ . ولا يستعمل لهُ سماد مطلقًا

الجمع — يبلغ العدس في الوجه القبلي في اواخر شهر مارس وفي الوجه البحري في اواسط شهر ابريل ويقلع من الارض قلعًا قبلما يجف لئلا يقع كثير من بزره ويبسط حتى يجف ثم يدرس كما تدرس الحنطة

مقدار محصولهِ — يبلغ محصول الفدان نحو ثلاثة ارادب من العدس وزن الاردب منها ٣٣٠ رطلاً وثلاثة احمال من التبن وتبن العدس اكثر غذاء من سائر انواع التبن

ويضرب السوس العدس ولكنهُ اذا جُرِش وحفظ مجروشًا سلم منهُ . وهو اذا جُرِش يخرج كيلة من كل اردب تذهب كسرًا وقشرًا فيبلغ الكسر اوسن العدس قدحين والقشر خمسة اقداح والتراب نصف قدح . وسن العدس وقشرهُ مغذيان جدًّا فيطعمان للمواشي لتسمينها انتهى

ولو زادت العناية بزراعة العدس وجلبت النقاوي من سورية مما لونهُ ابيض وهو سريع النضج اذا طبخ لكان منهُ ربح وافر

الزيتون وزيتهُ

من المظنون ان موطن الزيتون الاصلي بر الاناضول وبر الشام ثم نقل منهما في عهد بعيد جدًّا الى مصر واليونان ثم الى بلاد اخرى فكانت زراعتهُ منتشرة في ايطاليا واسبانيا سنة ٦٠٠ قبل المسيح

والفرق بين الزيتون وبعض البزور التي يعصر الزيت منها انهُ يمكن عصر الزيت من الزيتون بسهولة كلية بخلاف البزور الاخرى فانهُ يقتضي لها معامر كبيرة لا يستطيع اقتناءها سوى الاغنياء

والزيتون انواع فمنهُ ما ثمرهُ كروي ومنهُ ما هو مستطيل ومنهُ ما هو رقيق القشر واللب كبير النواة ومنهُ ما هو على ضد ذلك. ونضجهُ بطيء يتمُّ في نحو عشرة اشهر وقبلما ينضج يكون فيهِ كلوروفل وتنين وكثير من النشا فاذا نضج اختفى الكلوروفل وحيدرات الكربون وحل الزيت محلهما في خلايا النواة والقشرة

وكمية الزيت في النواة واللب تبلغ معظمها في اثناء نضج الاثمار ثم تقل تدريجًا ويقال بالاجمال ان الاثمار التي لبها سميك اكثر زيتًا من التي لبها رقيق ونواها كبير. واذا كانت الاثمار من حجم واحد فان اخفها اكثرها زيتًا

وللتربة تأثير عظيم في كمية الزيت ونوعهِ. فاذا كانت التربة جيرية (كلسية) او ممتزجة كان زيت الزيتون الذي يزرع فيها اخف مما يزرع في الاراضي الدلغانية الكثيرة الرطوبة. والزيتون الذي يزرع في الاراضي الصخرية جيد الزيت جدًّا. ويختلف مقدار الزيت في الزيتون البري من ١ الى ٩ في المئة اذا كان اخضر ومن ٢١ الى ٢٨ في المئة اذا كان جرجارًا وفي الزيتون الجوي الجيد من ٤٠ الى ٥٠ في المئة

ويتوقف زمن النضج على الاقليم. ففي بر الشام يجنون الزيتون بين سبتمبر ودسمبر وفي ايطاليا في نوفمبر وفي البرتوغال في دسمبر. وفي الجزائر وتونس يبتدئ القطاف في نوفمبر ويستمر طول الشتاء. وفي فرنسا يكون موسم الزيتون في اواسط الشتاء

وطريقة القطاف في انهم يأخذون عصيًّا طويلة ويضربون الاغصان بها فيسقط الزيتون الى الارض. ولكنها طريقة لا يصلح اتباعها لانها تضرُّ الاشجار وتؤثر في حمل السنة التالية وخير منها قطف الثمر الداني القطوف باليد والقاصي بالضرب بالعصا. ويجب ان يتلقى الزيتون بملاءات تنشر تحت الشجر وان يفرز الزيتون المصاب عن الصحيح

وافضل الزيت ما استخرج من الزيتون حالما يقطف وذلك لانهُ بعد قطفهِ يدبُّ الاختمار فيهِ فيخرج زيتهُ حرّيف الطعم . ومن طرق حفظهِ بعد قطفهِ ان ينشر طبقة واحدة على موائد خشبية ولكن هذه الطريقة لا تفي بالمرام لانهُ اذا ترك على تلك الحال دبَّ اليهِ الفساد في ثمانية ايام او عشرة . ومنها ان يوضع في الماء ويغيَّر الماء من آن الى ان وهذه الطريقة لا تفي بالمرام ايضاً لانها تفضي الى خسارة بعض الزيت . وخير منهما الطريقة التي تتبع في الجزائر وهي ان يوضع الزيتون في ماء غالٍ . ومن الطرق ان يوضع في آنية ويمس قليلاً فيخرج منهُ زيت يطفو على وجه الاناء فيحفظ ما فيهِ من الزيتون من الفساد . ومنها ان يملَّح الزيتون ثم يكبُّ الماء الذي يتكون بعد تمليحهِ فيحفظ بذلك شهرًا لا اكثر . واحسن من ذلك كلهِ ان يملَّح الزيتون ويترك سابحاً في مائهِ فيحفظ خمسة اشهر ولكن الزيت الذي يستخرج منهُ لا يكون جيداً كالزيت الذي يستخرج من الزيتون الجديد

ويدرس الزيتون بحجارة كبيرة ثقيلة تديرها الرجال يكون الحجر منها اسطوانيًّا قطرهُ نحو متر او اكثر وسمكهُ نحو نصف متر وهو ليس اسطوانيًّا تمامًا بل مخروط ناقص اي ان احد وجهيهِ اضيق من الوجه الآخر . ولهُ ثقب في محورهِ يدخل فيهِ عمود طويل يرتكز امام وجههِ الاضيق على محور قائم ثابت ويكون تحت الحجر فرش من الحجر منبسط مستدير ويبنى حولهُ حاجز مرتفع فيدار العمود فيدور بهِ الحجر على الفرش حول المحور القائم ويوضع الزيتون على الفرش فيهرسهُ الحجر هرسًا ويصيرهُ مادةً رخوة القوام كرب الاثمار الناضجة . وقد يوضع على الفرش حجر واحد وقد يوضع عليهِ حجران متقابلان والعمود الذي يدير الحجر او الحجرين يديرهُ الرجال او البهائم وقد يدار بقوة مائية او بخارية

ومتى هرس الزيتون وصار ربًّا يوضع في قفف من الخوص او الخيش ويعصر الزيت منهُ بمعاصر لولبية او مائية

وعصر الزيت اسهل في الحر منهُ في البرد ولذلك يمزج الرب بماء سخن اذا كان الفصل باردًا او تحمى الآنية التي يوضع فيها حتى يسخن قليلاً او تزول برودتهُ فقط لان الحرارة الشديدة تضرُّ بهِ . والزيت المعصور من الرب البارد اجود من المعصور من الرب السخن لكنهُ اقل منهُ . ويجب ان يكون العصر معتدلاً خفيفاً في اول الامر ثم يزاد رويدًا رويدًا لان الزيت الذي يخرج بالعصر الخفيف اجود من الزيت الذي يخرج بالعصر الثقيل . ثم يطلق البخار السخن في الرب ويعصر ايضاً فيخرج منهُ زيت اقل جودة من النوع الثاني . ولذلك فالزيت ثلاثة انواع اجودهُ ما يخرج من رب الزيتون بعصر خفيف ويتلوهُ ما يخرج منهُ بعصر

شديد ثم النوع الثالث الذي يخرج منهُ بعد ان يسخن على النار او بالبخار السخن ويعصر منهُ

والغالب ان لا يكون الزيت نقيًّا حالما يعصر بل يكون فيهِ عكر فيترك حتى يرسب العكر منهُ . او يضاف اليهِ ماء بارد فيحمل العكر وينزل بهِ الى اسفل الاناء فيصفّى الزيت النقي عن العكر . ولا بدَّ من الاسراع في تصفية الزيت النقي والاَّ تغيَّر طعمهُ لان العكر والفضلات التي فيهِ تختمر فتؤثر فيهِ

والزيت الجيد يقيم مدة طويلة جدًّا من غير ان يتعكَّر او يحل بهِ شيء من الفساد وهو خالٍ من كل طعم آخر غير طعم الزيت الحلو . والزيت العكر اذا طال عليهِ الزمان زاد عكرًا وفسادًا . ولا يصح تعريض الزيت للهواء والنور والحرارة لئلاَّ يسرع اليهِ الفساد

ومهما كانت المعاصر قوية لا يستخرج بها كل الزيت بل يبقى في الكسب خمسة في المئة الى عشرة في المئة منهُ . والكسب يستعمل علفًا ووقودًا فلا يضيع من الزيتون شيء

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيبًا في المعارف وانهاضًا للهمم وتشحيذًا للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من أصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيمًا كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

الرجوع الى الحق

الى منشئي المقتطف الفاضلين

قد اطلعت على رسالة في العدد الاخير من المقتطف من احد كرام المشتركين بشأن عدوى الجذام "ورجوعي الى الحق بعد خمس وعشرين سنة" ورأيت فيها وجهين لمسئلة احدهما شخصي يتعلق بي والثاني علمي . اما الاول فحقير لا يعتد بهِ لاني لست بخارج عن قول المثل الروماني القديم الغلط من شأن الانسان

واما الوجه العلمي فلهُ شأن عظيم لما فيهِ من العلم بوقاية الاصحاء من اخبث الامراض . وقد تذكرت ما توصلت اليهِ من هذا القبيل بعد درس طويل في مقالة تُرجمت عن

الانكليزية وطبعت في المقتطف في هذه السنة (نيسان ١٩٠٥) . وخلاصة ذلك ان السبب الباتولوجي لهذا المرض نوع من الباشلس خاص بهِ وانهُ لما كان الجلد مجلسهُ الاصلي ترجح دخولهُ اليهِ اما بواسطة خدشٍ يحملهُ اليهِ الهواء او الماء او بواسطة لسع الهوام كالذباب والبعوض الذي ينقلهُ من المريض الى الصحيح . فاذا ثبت هذا القول لم تكن العدوى بالملامسة والمخالطة بل على وجه التنقيح ولكنهُ لا يثبت الاَّ بمشاهدة هذا الباشلس في الهوام المحيطة بالمجذومين وهو امر لم يخطر لي مدة درسي الكلينيكي لهذا المرض فاتركهُ الى غيري من احداث الاطباء

بيروت يوحنا ورتبات

داء الاسد

الى العلامتين المفضالين منشئي المقتطف الازهر

قرأت في الجزء الماضي من المقتطف كلمة في " الرجوع الى الحق " ايد بها احد المشتركين صدق الحديث الشريف في عدوى الجذام ولا ازيد في نصر ذلك بتأكيدهِ فان للدين ربًّا يحميهِ قال " انَّا نحن نزلنا الذكر وانا لهُ لحافظون " . وليست هذه باول مرة وافق فيها الدين الاسلامي كل علم صحيح

ولكن رواية الحديث المشهور هي " فرَّ من المجذوم كما تفر من الاسد " لا كما ذكر هناك مغيرًا

والعامة في مصر تسمي هذا المرض "بالاسد" فلعلهم تخطفوا هذه الكلمة من هذا الحديث هذا ما لاحظتهُ فارجو اثباتهُ في المقتطف ولكم الشكر

فنار بور سعيد

اعجب بهذا الفنار مرتفعاً ... يبيت بالخيرات ملتفعاً
يلوح منهُ الضياء منصلتاً ... كالسيف راع الظلامَ فانقطعا
يُقطِّع الليل بالسنا قطعاً ... تمرُّ مرَّ السحاب منقشعا
يبدو سناهُ بمنظر بهجٍ ... كأنهُ من زبرجد لمعا
لا تسأم النفس حسنهُ ابداً ... وقد تملُّ الاعيادَ والجمعا
وهو اذا زدتموهُ من نظرٍ ... يزداد حسناً في غيرهِ امتنعا

لو خيّروا مشعباً لينظروهُ او يتهنّى بالنوم ما شجعا
لو كانت الثاكلات تبصرهُ لأنسيت حزنها وما رجعا
ينحدر الضوء من جوانبهِ كأنهُ السيل جاء مندفعا
يُطلع في كل لحظة قمرا يغني عن البدر حينما سطعا
لا البدر يغني السفّار عندهُ اذا بدا ولا النجم كلما طلعا
يقصّر النجم عن هدايتهِ اما تراهُ للسفن مطّلعا
ترقبهُ السفن للنجاة كما ترقب غرقى البحار مرتفعا
كأنهُ قبلة الصلاة لها او كامام تأتي لهُ تبعا
يحسب ربانها اشعتهُ الحبال مستمسك بها انتفعا
يدور في الليل حاكياً فلكاً يريكم الليل والنهار معا
سبحان ربي اعطى خليفتهُ في الارض[1] عقلاً فانظر لما صنعا

حسين عبد الفتاح الجمل

باب المسائل

(١) قوات الدول البحرية

سليم افندي صادق بكفركلا الباب .

ذكرتم في الجزء التاسع الصادر في غرة سبتمبر الماضي قوة كل دولة من الدول البحرية ورسمتم صورة اساطيلها مبتدئين بدولة بريطانيا العظمى ومنتهين بدولة النمسا ولم تذكروا قوة الدول الاخرى فنرجو ان تبينوا لنا قوات الدول التي اهملتم ذكرها مبتدئين بالدولة العثمانية ثم اليونان

ج لم نذكر اساطيل بقية الدول لانها ليست دولاً بحرية اي انها لا تعتمد في حروبها على الاساطيل البحرية اما لانها غير متصلة بالبحر فلا اساطيل لها او لان اساطيلها البحرية ضعيفة لا يعتدّ بها ومن هذا القبيل الدولة العليّة فانها كانت قبلاً دولة بحرية وبرية ثم اهملت اساطيلها البحرية . فاكثر

(١) خليفة الله في الارض الانسان قال الله تعالى في القرآن « وان قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة » يعني آدم وذريتهُ

سفنها الحربية قديمة لا يعتدُّ بها في الحروب الحديثة وليس عندها من السفن الجديدة سوى طرَّادين محميين تفريغ كلٍّ منهما ٣٥٠٠ طن وفيهِ مدفعان قطر فوهة كلٍّ منهما ٦ بوصات وسبعة اعشار البوصة وقد اصلحت الطرَّاد المسعودية في ايطاليا وفيهِ الآن مدفعان قطر فوهة كلٍّ منهما ٦ بوصات لكن سرعتهُ لا تزيد على سبعة عشر ميلاً بحريًّا في الساعة واصلحت ثلاثة طرَّادات أُخرى في الاستانة اصلحها لها عمَّال ايطاليون فصارت عمارتها البحرية مؤلفة من ستة طرَّادات صغيرة تفريغ كلٍّ منها ٣٥٠٠ طن وستة من قوارب الطربيد ولكن عندها من البحارة والجنود البحرية ما عند دولة من الدول البحرية الكبيرة فان عدد جنودها البحرية وبحارتها نحو اربعين الفاً

اما اليونان فعندها ثلاث مدرعات صغيرة تفريغ كلٍّ منها ٥٠٠٠ طن وفي كل منها ثلاثة مدافع كبيرة قطر فوهة الواحد منها ١٠ بوصات ونصف وخمس مدافع اصغر منها قطر فوهة الواحد منهما ست بوصات وعندها ١٩ من قوارب الطربيد لكنها قديمة لا فائدة منها وعدد الجنود والبحارة لا يزيد على ٤٠٠٠ نفس . واما سائر الدول فلا فائدة من وصف قواتها البحرية

(٣) الدولة العلية واليونان

ومنهُ . اي الدولتين اقوى بحرًا الدولة العلية ام دولة اليونان

ج يظهر من الوصف السابق ان الدولة العلية اقوى من دولة اليونان

(٣) الدولة العلية واسبانيا

ومنهُ . ما نسبة الدولة العلية الى اسبانيا الآن من حيث القوة البحرية

ج كانت اسبانيا من الدول البحريَّة الكبيرة قبل حربها مع اميركا وقد فقدت اكثر اسطولها في تلك الحرب ولكن لا يزال عندها الآن ما هو اقوى كثيرًا من الاسطول العثماني فعندها بارجة تفريغها ٩٠٠٠ طن وفيها مدفعان قطر فوهة كلٍّ منهما ١٢ بوصة وستة اعشار ومدفعان قطر فوهة كلٍّ منهما ١١ بوصة وتسعة مدافع قطر فوهة كل منها خمس بوصات ونصف وطراد تفريغهُ ٩٢٠٠ طن وسرعتهُ ٢٠ ميلاً بحريًّا في الساعة . وجملة ما عندها الآن سفينة حربية من الدرجة الثالثة وسفينة من الدرجة الرابعة وثلاثة من الدرجة الخامسة وواحدة من الدرجة السادسة وواحدة من الدرجة السابعة وسبعة من قوارب الطربيد وستة من متلفات الطربيد وهي تبني الآن طرادين من الدرجة الخامسة وطرادين من الدرجة السابعة فهي اقوى جدًّا من الدولة العلية من حيث اسطولها

(٤) برد البطيخ في الشمس

ومنهُ . اتينا ببطيخة من محل منبتها وكان الوقت ظهرًا فكان جلدها سخنًا كأنهُ

موضوع في ماء مغلي ثم شققناها ووضعناها في الشمس نحو نصف ساعة فبرد ليها حتى كأنها وُضعت في الثلج فما سبب ذلك

ج اذا مسحتم يدكم بماء حرارتهُ مثل حرارتها تماماً شعرتم ببرودة لان الماء يتبخر عنها وتبخرهُ هذا يستدعي استخدام جانب من حرارتها اي ان جانباً من حرارة اليد يمدد الماء ويحوّلهُ بخاراً فتشعرون بالبرودة. واذا وضعتم الماء في ابريق من الخزف الذي يرشح كثيراً لا يلبث ان يبرد لان الماء المترشح منهُ يطير بخاراً سالباً جانباً من حرارتهِ . ولا يخفى انهُ اذا اتسع السطح الذي يصعد البخار عنهُ كثرت البرودة المتولدة من ذلك . وفي البطيخ الناضج حبوب صغيرة فيها ماء ويحيط الماء بها فاذا وضعتهُ في الشمس كثر صعود البخار عنهُ لكثرة ما يتعرّض منهُ للتبخر فيسلب جانب كبير من حرارتهِ فيبرد كثيراً

(٥) الوسكي والبصل

ومنهُ . اصحيح ان الوسكي مستخرج من ماء البصل وهل هو افيد المشروبات الروحية بعد البيرة والنبيذ

ج لا يستخرج الوسكي من ماء البصل ولا هو نافع . واذا وقع التفاضل بينهُ وبين البيرة والنبيذ فيكون في ايها اكثر ضرراً او اقل ضرراً . ويستخرج الوسكي غالباً من استقطار الشعير والذرة والارز والبطاطس وأكثر المواد التي فيها نشاء او سكر ولا يتعذر استخراجهُ من البصل لان في البصل مادة نشوية . وعند الاوربيين شراب آخر اقوى من الوسكي يستخرج من جذور الجنطيانا وهي نبات ورقهُ مثل ورق البصل او بصل الفار ولعل مخبركم خلط بين هذا الشراب وبين الوسكي وخلط بين الجنطيانا وبصل الفار فقال ان الوسكي يستخرج من البصل

(٦) تحسين الخطابة

اسنا . الخواجا عزيز جرجاوي . ما هي احسن الوسائط لتحسين الخطابة

ج الدرس الكثير للاحاطة بالموضوع من كل جهاتهِ والتمرّن الكثير على الخطابة حتى تصير ملكة في النفس والاعتماد على رجل يعرف محاسن الخطابة ومذامها يرشد الى مواقع الخطإ ويساعد على اصلاحها كل ذلك لازم للنبوغ في الخطابة

(٧) الخطباء الضعفاء الصوت

ومنهُ . هل قام خطباء اشتهروا بالخطابة وكان صوتهم ضعيفاً

ج يحكى ان ديموستنس كان ألكن ثم قوم لسانهُ بوضع الحصى في فيهِ لكنّ هذه الحكاية تفتقر الى الاثبات. وقد سمعنا جون مورلي يخطب في مجلس النواب الانكليزي فوجدنا صوتهُ ضعيفاً على اشتهارهِ بالخطابة وسمعنا غيرهُ من المعدودين بين الخطباء وصوتهم ضعيف لا يكاد يسمع على مئة قدم

ولكن الخطباء المشهورين حقيقةً الذين سمعناهم صوتهم جهوري فخيم او حادٌّ رنان وهو في الحالين قوي يبلغ السامعين على مئات من الاقدام

(٨) عصب الريق

ومنهُ . اعرف خطيباً ينشف ريقهُ عند الخطابة حتى يضطر ان يضع شيئاً من الملبس في فيهِ ادراراً للعابهِ والاَّ تعذَّر عليهِ الكلام فهل من دواء لهذا الداء

ج ان عصب الريق وفيضانهُ ناتجان عن فعل عصبي والغالب ان عصب الريق ناتج عن الخوف او الهيبة حتى انك اذا امرت السارق ان يتفل على الدقيق تعذَّر عليهِ ذلك . ودواؤهُ التمرن على الخطابة طويلاً حتى تصير مألوفة ويزول الخوف من الناس

(٩) دعوى من يغني الناس

مسقط . الخواجا يوسف اسطفان . قرأت اعلاناً للسترهنس الاميركي في مجلة ستندرد يقول فيهِ انهُ استغنى بالتجارة بطريقة عجيبة وانهُ يودُّ ان يغني كل مَن يرسل اليهِ دراهم للتجارة بها كما انهُ قد اغنى كثيرين ممن اعتمدوا عليهِ وقدموا لهُ دراهم فهل ذلك صحيح

ج اذا كانت اقامة هذا الرجل في الولايات المتحدة الاميركية فالاموال تربح فيها نحو اربعة او خمسة في المئة سنوياً ربحاً يكاد يكون ثابتاً فاذا كان هذا الرجل بالغاً حد الاستقامة فلا يخلص ان يربح الذين يعتمدون عليهِ اكثر من ذلك ولكن يغلب على ظننا انهُ غاش او مغشوش . والذي يعرف طريقة لغني يستعملها لنفع نفسهِ

(١٠) الاحكام العرفية

كندا . الخواجا جرجس حنا جرجورا . كثيراً ما نقرأُ في الجرائد قولهم وضعت المدينة الفلانية تحت الاحكام العرفية فما هي الاحكام العرفية هذه

ج اذا اضطربت احوال بلاد بسبب ثورة داخلية او بدنو العدو منها حتى لم يعد سكانها يخضعون لقوانين الحكومة اضطرَّت الحكومة ان تعدل عن الجري على موجب قوانين البلاد وان تتصرف حسبما تراهُ مناسباً فتقبض على زيد مثلاً وتسجنهُ او تقتلهُ من غير مرافعة او محاكمة وهذه هي الحكومة العرفية وقد تلجأُ الى القوانين العسكرية فتجري عليها . وبعض الحكومات التي تفعل ذلك في وقت الاضطراب او وقت الحرب تضطرُّ ان تبرر عملها وقتما يستتبُّ الامن وتعوّض على الذين اوقعت بهم ضرراً . لنفرض ان اهالي مدينة هاجوا وماجوا لسبب من الاسباب فاراد البوليس ان يسكّن هيجانهم فهجموا عليهِ ورموهُ بالرصاص ثم هربوا من وجههِ وتحصنوا في البيوت القريبة فان الحكومة قد تضع المدينة تحت الاحكام العرفية حينئذٍ وتأمر البوليس باطلاق الرصاص عليهم من

غير محاكمة ويحرق البيوت التي تحصّنوا فيها ثم متى استتب الامن قد يضطرها مجلس الشورى الذي فيها الى تبرير عملها هذا والى التعويض على اصحاب البيوت التي امرت باحراقها

(١١) التدخين والعمر

مصر . الخواجا يوسف ابرهيم كوهن .

هل ثبت ان التدخين يقصر العمر واذا كان ذلك صحيحاً فما هو سببهُ

ج ان التدخين يضرُّ المعرَّضين للامراض القلبية بنوع خاص ولا يبعد ان يقصّر عمرهم وليس منهُ ضرر صحي كبير في ما سوى ذلك ولا ثبت ان الذين يدخنون اقصر عمرًا من غيرهم والافراط في التدخين مضر كالافراط في الاكل والشرب والنوم والسهر وكل شيءٍ

(١٢) بزر الموز والقصب

ومنهُ . اننا لا نرى بزرًا في الموز ولا في القصب فاين بزر هذين النباتين

ج يكون في بعض الموز بزر صغير داخل ثمرهِ ولكن الاستمرار على توليد الموز من الفسائل اضعف بزرهُ جدًّا حتى لم يعد يتولَّد منهُ . وكذلك القصب يظهر في اعلاهُ زهر وبزر صغير ولكنهُ لا يتولَّد منهُ بل من العقل كما لا يخفى

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر نوفمبر

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاول	٤	٣	٣٩	صباحاً
البدر	١٢	٧	١١	"
الربع الاخير	٢٠	٣	٣٣	"
الهلال	٢٩	٦	٤٧	مساء

السيارات

عطارد نجم المساء الشهر كلهُ

الزهرة نجم الصباح الشهر كلهُ

المريخ يغرب بين الساعة ٩½ و ١٠ مساء الشهر كلهُ

المشتري يظهر الليل كلهُ

زحل يغرب الساعة ١ صباحاً في اوائل الشهر والساعة ١١ مساء في آخرهِ

مؤتمر السل الدولي

التأم مؤتمر السل الدولي في مدينة باريس من ٣ الى ٧ اكتوبر وحضرهُ جمهور كبير من نخبة الاطباء من كل اقطار المسكونة . واهم ما تُلي فيهِ خطبة الاستاذ بهرنج مكتشف علاج الدفتيريا قال فيها انهُ اكتشف علاجاً شافياً لداء السل يشفيهِ كما يشفي المصل النسيء

اكتشفهُ داء الدفتيريا. وقد قال انهُ جرَّب هذا العلاج في الحيوانات فوجد انهُ يشفيها من السل ويودُّ ان يجربهُ غيرهُ من الاطباء ايضاً لئلاَّ يكون مخطئاً في حكمهِ ثم يجرَّب في الناس. وسننشر ترجمة خطبتهِ في الجزء التالي

وعُرضت في المؤتمر امثلة كثيرة يظهر منها الفرق بين ميكروب سل البقر وميكروب سل البشر وميكروب سل الطيور ومقدار ضرر كلٍّ منها. وأُقيمت الأدلَّة على ان الكلاب تُصاب بالسل الرئوي والمعوي وان الكلاب التي تكون في البيوت ويلعب بها الاولاد قد تكون سلولة فيعدون منها لاسيما وان ميكروب السل يكون كثيراً في افواهها فاذا لحست ايدي اصحابها اوصلت اليهم ميكروب السل. ويكثر السل بنوع خاص في الكلاب التي تقيم في الحانات الكثيرة الازدحام الفاسدة الهواء

وثبت ان الانسان يُعدّى بسل البقر وان ميكروبهُ اعدى لهُ من غيرهِ ويصل ميكروب السل اليهِ من شربهِ لبن البقر المصابة بالتدرُّن. وكل ذوات الثدي تُعدى بسل البقر وبسل البشر ايضاً. واذا دخل ميكروب السل جسم حيوان من غير ذوات الثدي تغيَّر تغيُّراً كثيراً ولكن لا يتعذَّر ارجاعهُ الى اصلهِ

والمصل الذي استخدمهُ الاستاذ دنس افاد في التدرُّن الجراحي الذي يصيب المفاصل وظهرت لهُ فائدة قليلة في علاج السل نفسهِ فيستحق ان تكرَّر التجارب فيهِ

وشدَّد الاطباء في وجوب منع الاولاد من الاقامة في غرف يقيم فيها المسلولون وفي وجوب مراقبة اللبن الذي يستعمل في المدن وقالوا انهُ يجب على الحكومة ان تراقب اماكن البانة من وقت الى آخر. وانهُ لا يجوز للمدارس ونحوها ان تستعمل لبناً لم يثبت انهُ حُلب من بقر سليمة من السل او لم يعقم قبل استعمالهِ حسب طريقة باستور

وسيقعد المؤتمر التالي في اميركا بعد ثلاث سنوات

مجمع ترقية العلوم البريطاني

التأم في جنوبي افريقية كما ذكرنا في الجزء السابق فاجتمع اولاً في مدينة الراس وتلا رئيسهُ الاستاذ جورج دارون جانباً من خطبة الرئاسة وقد ترجمناهُ ونشرناهُ في هذا الجزء وتلا بعض رؤساء اقسامهِ خطبهم ثم ضرب اعضاؤهُ شمالاً الى ان وصلوا مدينة جوهنسبرج فتلا الرئيس فيها القسم الثاني من خطبتهِ وتلا غيرهُ من الرؤساء خطبهم وسننشر بعض ذلك في الاجزاء التالية

وختم الاجتماع في مدينة جوهنسبرج وانتخب الدكتور راي لنكستر رئيساً للاجتماع التالي. وتقدم الاعضاء من هناك شمالاً وزاروا مناجم الذهب والماس ولما بلغوا مناجم

الماس خطب فيهم السر وليم كروكس خطبة بليغة موضوعها الماس فبيّن فيها كيفية عمل الماس الصناعي باشعال الكربيت ونحوه . وقد ابتهج السامعون بهذه الخطبة وطلبوا منهُ ان يعيدها لهم مرة ثانية فاعادها في اليوم التالي وسننشرها في جزء تالٍ . وعاد الاعضاء الى السير في خمسة قطرات خاصة الى ان بلغوا شلالات فكتوريا في الحادي عشر من سبتمبر فنتج الاستاذ دارون الجسر الذي أُنشئ فوق تلك الشلالات وقد وصفناهُ في الجزء الثامن من المقتطف وزاروا الجزائر الكثيرة التي في ذلك النهر ثم انقسموا الى قسمين قسم عاد بطريق مدينة الراس وقسم بطريق بيرا . ووصل بعضهم السويس ومرّوا بالقاهرة وكان معهم السر كولن سكوت منكريف وكيل نظارة الاشغال المصرية سابقاً ورئيس قسم الهندسة في هذا المجمع فزار بهم القناطر الخيرية واراهم بالعيان ما وصفهُ لهم في خطبتهِ باللسان

المعارف الانكليزية

بلغ ما انفقتهُ الحكومة الانكليزية في العام الماضي على التعليم وترقية العلوم والفنون ١٥ ٧٩٥ ٥٣٨ جنيهاً انكليزياً يقابلها ١٦ ٣٢٨ ٩٤٧ جنيهاً هذا العام منها ١٢ ٦٦٠ ٨١٦ انفقها مجلس التعليم وهو بمثابة نظارة المعارف وهي

للادارة	١٦٩ ٣٢٢ جنيهاً
للتفتيش والامتحان	٣٥٩ ٩١٩ "
اعانات للمدارس الابتدائية	١٠ ٩٥١ ١١٠٤ "
" لمدارس المعلمين	٤٨٩ ٨٤٣ "
" للمدارس الثانوية	٢٤٢ ٥٠٠ "

والباقي أُنفق على المتاحف ومسح الاراضي التي لم تمسح بعد واللجان العلمية وما اشبه ذلك من الاغراض العلمية . فنفقات الادارة تبلغ نحو جزء في المئة فقط مما ينفق على التعليم

الاوتوموبيل في فرنسا

حازت فرنسا قصب السبق في اتقان مركبات الاوتوموبيل حتى فاقت المركبات التي صُنعت فيها المركبات التي صنعت في البلدان الاخرى في كل سباق جرى . وصناعة الاوتوموبيل فيها في ازدياد كل سنة ففي سنة ١٨٩٨ صنع فيها ١٨٥٠ مركبة ثمنها ٣٣٢٠٠٠ ثم زادت زيادة عظيمة حتى بلغ عدد ما صنع منها سنة ١٩٠٤ اثنتين وعشرين الف مركبة ثمنها ٧٠٤٠٠٠٠ جنيه اي ان الزيادة اكثر من ٢١ ضعفاً

وصدر منها الى الخارج سنة ١٨٩٨ ما ثمنهُ ٧٠٠٠٠٠ جنيه فزاد حتى بلغ ٢٠٨٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩٠٣ و ٢٩٦٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩٠٤

و يقدرون عدد الذين يعملون في معامل الاوتوموبيل في فرنسا باكثر من ٣٠٠ الف

نفس وعدد هذه المعامل ١٧٣ وعددها في انكلترا ١١٤ وفي المانيا ٦٠. وفي فرنسا الآن نحو ٢٠ الف مركبة بين ايدي الاهالي

الطلاق في الصين

يطلق الصيني امرأتهُ للعلل الآتية وهي العقم والزنى وسوء معاملة والديهِ والنميمة والسرقة والغيرة. واذا طُلّقت امرأة جاز لها ان تتزوج ثانية وجاز لها ايضاً ان تشكو زوجها الى الحكومة اذا كان تطليقهُ لها مخالفاً للقانون فيحكم عليهِ بالجلد ثمانين جلدة وارجاع زوجتهِ

وقد يفترق الزوجان بالتراضي لاختلاف في طبعهما ومزاجهما. واذا هجر احدهما منزلهُ فللآخر الخيار في قبولهِ ثانية او تطليقهِ. فاذا كانت الزوجة هي التي هجرت منزل زوجها عوقبت بمئة جلدة ولزوجها الخيار في ان يستردها او يتزوج غيرها او يزوجها من اراد. والمرأة التي تتزوج غير زوجها الشرعي من نفسها بعد هجرها اياهُ وقبل تطليقها منهُ تقتل خنقاً وهو عقاب الزانية عندهم. واذا كان الزوج هو الذي هجر منزلهُ وجب على امرأتهِ ان تقيم على تلك الحالة ثلاث سنوات فاذا لم يأتها خبر منهُ في تلك المدة طلقت باذن الحكومة وتزوجت ثانية اذا شاءت. فاذا لم تنتظر ثلاث سنوات بل هجرت منزلها ايضاً جلدت ٨٠ جلدة واذا تزوجت جلدت مئة

والطلاق الزامي اذا زنت الزوجة او ضربت زوجها ضرباً افضى الى جرحهِ جروحاً بالغة او كسر عظم من عظامهِ او فقد عضو من اعضائهِ او ضربها هو ضرباً افضى الى مثل ذلك

وفاة ممثل مشهور

توفي السر هنري ارفنغ اعظم ممثل انكليزي في هذا العصر. وكانت وفاتهُ بغتة بالسكتة الدماغية بعد تمثيل الفصل الاخير من رواية "بكت" رئيس اساقفة كنتربري الذي قتل في اوائل القرن الثاني عشر بامر الملك هنري الثاني. ولم يلحظ احد من اعضاء جوقهِ تغيراً في حركاتهِ واشاراتهِ ليلة التمثيل مما ينذر بمرضهِ حتى آخر الفصل الاخير حين كان يمثل موت بكت وكانت عادتهُ في تمثيل موتهِ ان يسقط على المشهد ولكنهُ هذه المرة سقط عند الدرج الذي امام مذبح الهيكل حيث قتل بكت وفاه بالكلمات التي فاه بها بكت وهي "اسلم امري الى الله في يديك يا رب في يديك" ومن غرائب الصدف انها كانت آخر عبارة فاه بها السر هنري في التمثيل. فانهُ بعد ان سقط على المشهد وانزل الستار بقي منطرحاً على ظهرهِ فهرع اليهِ احد رجال الجوق ومسَّ يديهِ لينهضهُ فاذا هما باردتان فسألهُ هل انت مريض فلم يجبهُ. ورفع الستار وأُنزل مراراً

والناس يصفقون لهُ ولا يدرون انهُ لا يستطيع النهوض من الاعياء . واخيرًا استفاق مضطربًا ووقف والتفت الى احد مساعديهِ قائلاً " وماذا جرى " فاجابهُ ان الحضور يطلبون رؤيتك فلا بد لك من كلمة تقولها فتردد هنيهة ثم رفع الستار وفاه بكلمة شكر للحاضرين

وكان الاعياء قد بلغ منهُ مبلغهُ فبدل ملابسهُ وركب مركبة الى النزل الذي يقيم فيهِ . وبينما كان يدخل القاعة عثر وسقط ولكن احد ملازميهِ واسمهُ شبرد أقالهُ ولم يدعهُ يسقط الى الارض فقال بصوت خافت " ذلك الكرسي يا شبرد " وكانت آخر عبارة نطق بها وهو يجود بنفسهِ ومات ولم تبدُ عليهِ علامة نزع والم

والانكليز يجلون قدرهُ كثيرًا حتى انهم اقروا على دفنهِ في كنيسة وستمنستر مدفن عظمائهم وكبار كتبتهم وشعرائهم

الاشعاع من غير الراديوم

اكتشف الدكتور توماسينا الجنيفي انهُ اذا كهرب سلك بالكهربائية السلبيَّة واحمي فعَل بغيرهِ من المواد فعل الراديوم . وكذلك اذا وقعت اشعة رنتجن على الجسم صار يشع مثل الراديوم وبقيت فيهِ قوة الاشعاع بضعة ايام . ثم رأى ان قوة الاشعاع موجودة في كثير من الاجسام كالاثمار والازهار والاوراق وموجودة ايضًا في الطيور وهي في كبارها اكثر منها في صغارها

العلم في حرب اليابان

أمر بحارة اليابان والجنود البحرية ان يستحم كلٌّ منهم قبل كل معركة بحريَّة ويبدل ثيابهُ التحتانية بثياب نظيفة حتى اذا جُرح لا تدخل مادة سامة في جرحهِ واعطي كل واحد منهم قطع من القطن ليسد اذنيهِ بها ومحلول حامض البوريك ليغسل عينيهِ بهِ من دخان البارود . فكانت نتيجة هذه التحوطات العليَّة ان اكثر الجرحى برئوا من جراحهم

نفقة بعض الكليات

يبلغ ما تنفقهُ كلية برلين على كلّ تلميذ من تلامذتها في السنة ١٣ جنيهًا وباريس ١٤١/٢ وفينا ١٥ وادنبرج ٢/١ ٣١ وهارفرد ٦١ وكولمبيا ٩٤ ويايل ٥١ وبرنستون ٦٧ وهذه الاربعة الاخيرة في الولايات المتحدة الاميركية

قوة شلال نياغرا

قدَّر مهندسو اميركا حديثًا انهُ ينصبُّ من شلال نياغرا ٢٣٠٠٠٠ قدم مكعبة من الماء كل ثانية من الزمان وفي انحدارها من القوة ما يساوي تسعة ملايين حصان يمكن استخدام نصفها للاعمال المختلفة

فهرس الجزء الحادي عشر من المجلد الثلاثين

٨٥٧ شمول مذهب الشوء . للاستاذ جورج داروين
٨٦٤ الذهب
٨٦٥ اقدم الآثار الاشورية
٨٦٦ اقدم الآثار البابلية (مصوَّرة)
٨٦٨ التلوتوغراف (مصوَّرة)
٨٧٠ الهالة حول الراس
٨٧١ معاهدة الصلح
٨٧٣ الاحتضارات والقبريَّات . لعيسى افندي اسكندر المعلوف
٨٨١ ماضي الاحياء ومستقبلها
٨٨٨ عدد سكان العواصم الكبرى
٨٨٩ جزاء سنمار
٨٩٣ السوريون في اميركا . ليوسف افندي جرجس زخم الريشاني
٩٠١ تاريخ محمد علي باشا (مصوَّرة)
٩٠٩ الشيخ محمد عبده

---

٩٢٣ باب تدبير المنزل * مؤلفة ومؤلف غريب . النظافة والصحة . اناث شرفة المائدة . العسل في البيت . تعليم الاولاد التوفير
٩٢٧ باب التقريظ والانتقاد * تاريخ الدولة العلية . الكلية الشرقية . تاريخ بطرس الاكبر ومحاكمة الكسيس . حقوق المرأة في الاسلام . جواهر البلاغة . الارشادات الوفية في القضايا الشرعية حسناء بيوبورك
٨٣١ باب الزراعة * العدس . الزيتون وزيته
باب المراسلة والمناظرة * الرجوع الى الحق . داء الاسد . فنار بور سعيد
٨٤١ باب المسائل * قوات الدول البحرية . الدولة العلية واليونان . الدولة العلية واسبانيا . برد البحر في الشمس . الوسكي والبصل . تحسين الخطابة . الخطباء الضعفاء الصوت . عصب اريق . دعوى من يغني الناس . الاحكام العرفية . التدخين والعمر . بزر الموز والقصب
٨٤٦ باب الاخبار العلمية * وفيه ١٢ نبذة
رواية فتاة مصر ملحقة بالمقتطف